رعاية البيئة بين هدي الإسلام ووثيقة حقوق الإنسان

د. فؤاد عبدالمنعم أحمد(*)

المقدمـــــة

ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، وبات مستقبل الحياة على كوكب الأرض مهدداً بأخطار جسيمة، بسبب سوء تصرف الإنسان واعتداءاته ـ العمدية وغير العمدية ـ المتزايدة على البيئة المحيطة التي تشبع له حاجاته، بل وهي قوام حياته.

فقد أصاب التلوث كل عناصر البيئة المحيطة بالإنسان من ماء وهواء وغذاء وتربة، وزادت الضجة المؤرقة والإشعاعات المؤذية. فالماء في البحار والأنهار أصبح ملوثاً ـ في حدود كبيرة أو قليلة ـ بالكيماويات والفضلات وبقايا النفط والمعادن الثقيلة، بل وبالماء المستعمل نفسه، والهواء في أغلب المناطق المأهولة اختلفت فيه نسبة الغازات المكونة له لصالح الضار منها، بفعل آلات الاحتراق الداخلي في المصانع والسيارات مع تقلص المساحات الخضراء. والغذاء وصل إليه التلوث عن طريق المبيدات والكيماويات الحافظة وغيرها من الإضافات الضارة. والتربة أصابها التلوث بسبب بقايا المبيدات والأسمدة الكيماوية والمخلفات الغريبة والأملاح الزائدة. وصار التلوث الصوتي من لوازم العصر بعد زيادة الضوضاء والأصوات المستنكرة بمصادرها الحديثة المختلفة. وظهر التلوث الإشعاعي الخطير نتيجة استخدام الذرة سواء في الحرب أو السلم.

وقد برزت مشكلة التلوث وتعاظم خطرها مع تقدم الصناعة واستخدام الآلات والأدوات الحديثة وأسلحة الحرب المدمرة على نطاق واسع. وكانت الدول الصناعية الكبرى سباقة في إحداث التلوث والإخلال بالتوازن البيئي(١).

(*) عضو هيئة التدريس بكلية الدراسات العليا بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

(١) ماجد راغب الحلو، قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة (الإسكندرية: دار المطبوعات الجامعية، ط١، ١٩٩٩ م)، ص ٥، ٦، ١٣.

وننبه هنا إلى أن تلوث البيئة مهلك كالقتل بل أعظم خطراً منه، لأن القتل إزهاق لروح اثنين أو ثلاث، أما من يلوث البيئة فهو يعرض الآلاف والملايين للقتل الأليم، أي القتل البطيء بسبب الأمراض المزمنة وغيرها من الأوبئة المهلكة للملايين من البشر، والزروع والثمار والحيوان[1].

إن الاهتمام المعاصر بالبيئة ومشكلاتها لم يبدأ إلا منذ السبعينيات من القرن العشرين بمؤتمر الأمم المتحدة حول البيئة الإنسانية الذي انعقد في مدينة استكهولم في السويد عام ١٩٧٢ م.

ومنذ ذلك الحين حظيت المشكلات والقضايا البيئية باهتمام المتخصصين والمسئولين والرأي العام على المستويين الإقليمي والعالمي.

ورغم كثرة الجهود والدراسات التي تناولت قضايا البيئة ومشكلاتها، وما انتهت إليه من حلول، إلا أنها اتسمت بالجزئية والذاتية، وخلت من المنطلقات الإيمانية والعقدية، ولذلك اتسمت بعدم الفاعلية أو الجدوى بافتقاد الصدق في غاياتها ولا أدل على ذلك من أن الدول التي ترفع شعار حماية البيئة، هي نفسها التي تدفن المخلفات الإشعاعية في أراضي الدول الفقيرة نظير ما تقدمه لها من مساعدات.

من هنا تأتي عظمة الإسلام فقد جاء منذ أكثر من أربعة عشر قرناً بمنهج متكامل شامل للحفاظ على البيئة ووقايتها من التلوث وبيان حق الإنسان في بيئة صحية مناسبة.

خطة البحث:

يتضمن أربعة مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول : الأساس العقدي والإيماني لرعاية البيئة في الإسلام.

المبحث الثاني : المفهوم الإسلامي للبيئة وخصائصها ورعايتها وعدم إفسادها.

المبحث الثالث : حق الإنسان في بيئة صحية مناسبة.

---

(١) محمد أحمد رشوان، تلوث البيئة وكيف عالجه الإسلام (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إدارة الثقافة والنشر، ط١، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م) ص ٤٧، ٤٨.

المبحث الرابع : حماية البيئة ووثيقة حقوق الإنسان .
خاتمة البحث .

منهج البحث :

اتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي ما وسعني الجهد والوقت، واعتمدت على المصادر الأصلية من الكتاب الكريم والسنة النبوية وبيان أحكامهما في رعاية البيئة والحفاظ على حق الإنسان في بيئة صحية مناسبة، وعلى مقاصد الشريعة وقواعدها ومبادئها العامة.

١ . الأساس العقدي والإيماني لرعاية البيئة في الإسلام

ترتبط رعاية البيئة وحق الإنسان في بيئة صحية مناسبة في الإسلام بالعقيدة «لأن العقيدة هي الأصل، الذي تبنى عليه الشريعة، والشريعة أثر تستتبعه العقيدة، ومن ثم فلا وجود للشريعة في الإسلام إلا بوجود العقيدة، كما أنه لا ازدهار للشريعة إلا في ظل العقيدة» [1].

١ . ١ تسخير ما في الكون للإنسان

نقتصر هنا على آية جامعة عامة، تبين أن كل ما في الأرض خلق للإنسان، قال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا . . .** ﴿٢٩﴾ ﴾(سورة البقرة).

ونتائج التسخير لعناصر الكون تبين الأمور التالية :

١ ـ أن الله تعالى خلق الإنسان، وخلق له ما يتوقف عليه بقاؤه، ويتم به معاشه مما في الأرض جميعاً . . . .

٢ ـ أن هذا التسخير دعوة ملحة للنظر في الكون، والبحث في مكنوناته للاستفادة مما

(١) محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة (بيروت، القاهرة : دار الشروق، الطبعة الثانية عشرة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م) ص ١١ .

ادخره الله فيه، ليضرب الإنسان في أرجاء المعمورة للبحث والتنقيب والسعي لإعمارها وبنائها.

٣ـ أن الله تعالى الذي سخر الكون للإنسان، منحه القدرة على استخراج أسراره، وجعله في قبضة يده، ومتناول عقله، وأن الله ربط تسخير ما في الكون بهذه الملكات التي وهبها للإنسان بالنظر، والتفكير، والعقل[1] وهو ما ختمت به آيات كثيرة، بقوله تعالى: (أفلا تعقلون)، (لعلكم تعقلون)، (إن كنتم تعقلون).

٢ . ١ البيئة وحفظ الدين

تشير آيات كثيرة أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق للبيئة، والمهيمن عليها، وواضع النواميس التي تكفل حفظ التوازن فيها، فكل شيء خلقه بمقدار بحسب علمه سبحانه وتعالى . . . وهو وحده الذي يكفل لكل عنصر من عناصر البيئة أن يؤدي دوره المحدد المرسوم في صنع الحياة في توافقية وانسجامية غاية في الدقة.

فكل ما في الكون كما خلقه الله يخضع لدورة حيوية رسمها الخالق عز وجل تتسم بالدقة والاتزان فالحياة تجري في هذا الكون بصفة مستمرة خلال سلسلة من عمليات التوالد والفناء تشمل كافة المخلوقات، وهي جميعاً في متناول إحاطته وعلمه وقدرته سبحانه وتعالى.

فكل ما في الكون ملك لله عز وجل . . . أما الإنسان فهو خليفة الله في الأرض ووصيه عليها . . . وأما ملكيته لها، فملكية عارضة سرعان ما تؤول إلى مالكها الحقيقي، وهو الله عز وجل. وهو بهذا الاستخلاف أصبح سيد الأرض، وبتمكين الله أصبح قادراً على السعي والحركة لعمارتها وتسخير كل ما خلقه الله: الأرض فيها أو عليها أو حولها، وبغرض تحقيق الغاية من وجوده، وهي عمارة الأرض والسعي فيها . . . أي تحقيق الغاية الأسمى من وجوده وهي عبادة الله، وعبادة الله في معناها الشامل تعني الالتزام الكامل بمنهج الله وشريعته في كافة مجالات النشاط الإنساني،

(١) محمد الزحيلي: حقوق الإنسان في الإسلام ص ٤٢ ـ ٤٤.

سواء في تعامله مع نفسه أو مع بيئته الاجتماعية أو في تعامله مع البيئة الطبيعية[1].

فالإنسان ليس وحده الكائن المدرك، وإنما البيئة بكل عناصرها لها إدراكها الخاص، الذي لا نعلم عن حقيقة تكوينه شيئاً فهي كيان حي زاخر بالمشاعر والأحاسيس، وهي تسمع وتجيب وتطيع، وتستشعر عظمة المسئولية وتقدرها حق قدرها. كما أنها في الوقت نفسه تدرك تصرفات الإنسان وتزنها بميزان العبودية لله وتقدره أو تحنق عليه وقد عبر عن ذلك القرآن الكريم في قوله عز وجل: ﴿ **فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ** ﴿٢٩﴾ ﴾ (سورة الدخان). وفي قوله تعالى حكاية عن هدهد سليمان عليه السلام: ﴿ **إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ من كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ** ﴿٢٣﴾ **وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ للشَّمْسِ من دُونِ اللَّهِ ...** ﴿٢٤﴾ ﴾ (سورة النمل). وأيضاً في قوله تعالى حكاية عن عالم الملائكة في سياق إظهار العلاقة الوثيقة بين الأرض والسماء. قال تعالى: ﴿ ... **وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ ....** ﴿٥﴾ ﴾ (سورة الشورى).

وفي إطار هذا الوعي الإدراكي، فإن المسخرات التي سخرها الله للإنسان في حالة الخروج على المنهج الذي أمرنا الله به تتغير طبيعتها وتتحول إلى أداة للتدمير والتعذيب أو للإنذار والوعيد. كما أنها من ناحية أخرى قد تكثر أو تضيق خيراتها وفقاً لحالة الإنسان ومدى التزامه بالمنهج كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم حكاية عن نوح عليه السلام ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا** ﴿١٠﴾ **يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا** ﴿١١﴾ **وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا** ﴿١٢﴾ ﴾ (سورة نوح).

والسياقات السابقة في إطار حفظ الدين تفيد الإنسان في تحقيق جانب العظمة والتفكير لاستخلاص الحقائق الآتية:

- لإدراك فلسفة الكون والحكمة من خلق الإنسان، والوصول من خلال هذا التفكير إلى آيات قدرة الله في الكون ودلائل عظمته وحكمته.

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج١٠ ص ١٤٩, ١٥٠، عز الدين بن عبد السلام: القواعد الكبرى الموسومة بـ« قواعد الأحكام في مصالح الأنام »تحقيق نزيه حماد، عثمان ضميرية (دمشق: دار القلم، ط١، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠ م) ج١ص ٢٢٧-٢٢٩.

ـ لاستخلاص السنن الكونية التي تحكم طبيعة الحياة للحفاظ عليها، وكذلك السنن الاجتماعية التي تحكم حركة الإنسان في الحياة.

للنظر للبيئة الطبيعية في إطارها العقلي :

ـ باعتبارها رصيدا للموارد الطبيعية، ووسيلة لإشباع احتياجات الفرد في إطار التعامل الرشيد معها.

ـ وباعتبارها مجموع العوامل الفيزيائية والحية وغير الحية في إطار يرتبط بعالم السماء ومكوناته، أي في إطار يعكس إيمان الإنسان بوحدة الكون وخالقه، والحكمة التي وجد من أجلها، وغايته التي يتحرك على نهجها.

ـ للتعرف على أسلوب التعامل الرشيد معها : انطلاقاً من الثقة في ضمان الله الرزق لجميع عباده على السواء، وأن الإنسان ليس عليه سوى السعي فقط، ثم الاستفادة من كل خيرات الأرض دون تقتير أو إسراف، ودون إهمال لاستثمار كل هذه الموارد أو استنزاف لها. أي أن التعامل مع البيئة يجب أن يكون من خلال مقومات المنهج الإيماني الذي أنزله الله وأمرنا بالالتزام به. فقد خلق الله للإنسان هذا المحيط الحيوي للعبادة والتدبر والسكن والعمارة والانتفاع والاستثمار والتمتع، ولهذا فلا يجوز إفساد البيئة بإخراجها عن طبيعتها الملائمة لحياة الإنسان. قال تعالى : ﴿ **وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا** ...﴿٥٦﴾﴾ (سورة الاعراف). وقال سبحانه : ﴿ ...**وَلا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يحبّ المُفْسدينَ** ﴿٧٧﴾﴾ (سورة القصص). ولهذا فإنه لا يجوز استثمار تلك الموارد أو الانتفاع بها بطريقة مضرة بالبيئة، انطلاقاً من القاعدة الإسلامية « لا ضرر ولا ضرار »[١]. ومن القاعدة التي تقول : « درء المفاسد مقدم على جلب المنافع »[٢].

---

(١) عبد الوهاب السبكي : الأشباه والنظائر تحقيق عادل عبد الموجود، علي عوض (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١ ، ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م) ج١ ص ٤١ ، ٤٢ .

(٢) عز الدين بن عبد السلام : القواعد الكبرى الموسوم بـ «قواعد الأحكام في مصالح الأنام » ج١ ص ٨ ، ١٣٦ ، علي الندوي، القواعد الفقهية (دمشق، دار القلم، ط٣ ، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م) ص ٢٠٣ ، ٢٠٧ . درء المفاسد مشروط بألا يؤدي إلى مثلها أو أعظم منها.

فاستخدام المخصبات مثلاً رغم أهميته لزيادة الإنتاج إلا أن الأضرار التي تسببها للبيئة تلزمنا بالتوقف عن استخدامها إنطلاقاً من هذه القاعدة. . . وكذلك تمتد الحماية البيئية من كل الأساليب الحديثة التي استخدمها الإنسان وأنتجت ضرراً فاحشاً، يستلزم معها التوقف عنها لمقصد المحافظة على البيئة [١].

٢ . المفهوم الإسلامي للبيئة، وخصائصها، ورعايتها وعدم إفسادها

٢ . ١ المفهوم الإسلامي للبيئة

إن تحديد مفهوم البيئة في التصور الإسلامي يتطلب التعرف على الأصل الاشتقاقي للبيئة لغوياً، وعلى المصطلح المرادف لدلالتها في التراث الإسلامي، والحدود المختلفة لاستخدامه والتي في ضوئها يتم تحديد المفهوم الإسلامي للبيئة ثم نعرض لأهم المفاهيم الحديثة، ونقارن بينها وبين الدلالات المختلفة للمفهوم الإسلامي.

٢ . ١ . ١ القرآن ومصطلح الأرض

استخدم القرآن بدلاً من كلمة البيئة مصطلح (الأرض) للدلالة على المحيط أو المكان الذي يعيش فيه الإنسان، شاملة ما عليها من جبال وسهول، وما فيها من نباتات وحيوانات، وما حولها من كواكب وأجرام [٢].

والواقع أن كلمة (الأرض) أدق تعبيراً وأكثر تحديداً للمعنى الاصطلاحي المراد بالبيئة الطبيعية. فالأرض إطار لأنظمة بيئية متكاملة تهيئ للإنسان ولغيره من الكائنات الحية مقومات الحياة وعوامل البقاء[٣].

---

(١) محمد منير حجاب، التلوث وحماية البيئة ص ١٣١ ـ ١٣٤.
(٢) شوقي دينا، الإسلام وحماية البيئة، بحث بمجلة البحوث الفقهية المعاصرة (الرياض، العدد ٤٨، السنة ١٢، ديسمبر ـ يناير ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠١م، ص ٣٦ ـ ٣٧.
(٣) محمد منير حجاب، التلوث وحماية البيئة، ص ١٣.

وقد وردت كلمة (الأرض) في القرآن الكريم ما يقرب من ٥٤٥ مرة، أولها، في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (سورة البقرة).

وآخرها : قوله عز وجل : ﴿ وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ ﴾ (سورة الزلزلة).

وقال تبارك وتعالى : ﴿ ... هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ...﴿٦١﴾ ﴾ (سورة هود). قال أبو بكر الجصاص : « نسبهم إلى الأرض، لأن أصلهم وهو آدم خلق من التراب، والناس كلهم من آدم عليه السلام، وقيل : إن معناه أنه خلقكم في الأرض. وقوله : (استعمركم فيها) يعني : أمركم بعمارتها بما تحتاجون إليه. وفيه دليل على وجوب عمارة الأرض للزراعة والغراس والأبنية »[1].

وقال تعالى عز وجل : ﴿ هُوَ الذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ...﴿٢٩﴾ ﴾ (سورة البقرة).

قال أبو بكر بن العربي : « فخلقه سبحانه وتعالى الأرض، وإرساؤها بالجبال، ووضع البركة فيها، وتقدير الأقوات بأنواع الثمرات وأصناف النبات إنما كان لبني آدم، تقديراً لمصالحهم، وأهبة لسد مفاقرهم . . . للتنبيه على القدرة المهيئة لها للمنفعة والمصلحة، فإن جميع ما في الأرض إنما هو لحاجة الخلق، والبارئ تعالى غني عنه متفضل به »[2].

من يتدبر القرآن الكريم يجد أن عنايته بالبيئة الاجتماعية، وتبيان مدى أهميتها البالغة، وتوضيح مغبة اعتداء الإنسان عليها ومن ثم حتمية حمايتها والمحافظة عليها. وعن وسم القرآن للعديد من الأمم السابقة بأنهم مفسدون في الأرض رغم أن سلوكياتهم

(١) الجصاص : أحكام القرآن، مراجعة صدقي محمد جميل (بيروت : دار الفكر، ط١ ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣ م) ج٣ ص ٢٤١ ، ٢٤٢.

(٢) ابن العربي : أحكام القرآن تحقيق محمد علي البجاوي (بيروت : دار الفكر، تصوير عن طبعة الحلبي، ط١ ، ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٧ م) ج١ ص ١٤.

حيال البيئة الطبيعية لم تكن سيئة في مجملها، لكن ذلك نبع من اعتداءاتهم على البيئة الاجتماعية بالمفهوم الواسع[1].

ومثالاً على ذلك قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢** ﴾ (سورة الفجر). تأمل تجد النشاط العمراني والاقتصادي على أعلى مستوى، لكنهم مع ذلك طغوا في البلاد طغياناً عقدياً وثقافياً واجتماعياً وسياسياً وأخلاقياً، ونتج عن ذلك شيوع الفساد في الدنيا، الشذوذ الجنسي (اللواط)، إفساد في الأرض، الفساد السياسي هو إفساد في الأرض ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝٤** ﴾ (سورة القصص)، السرقة إفساد في الأرض أيضاً ﴿ **قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ۝٧٣** ﴾ (سورة يوسف).

والظلم في المعاملات المالية إفساد في الأرض ﴿ **أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ۝١٨١ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۝١٨٢ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝١٨٣** ﴾ (سورة الشعراء).

٢ . ١ . ٢ مفهوم البيئة حديثاً

وردت عدة تعريفات يتفق معظمها في الإطار العام من حيث المضمون والعناصر، ويتداخل مع مفهوم الإيكولوجيا(Ecology) وهي تعبير لاتيني يعني علم البيئة حيث يستوعب علم البيئة ويشمله بمعنى العلاقة بين البيئة بمعنى المكان والكائن الحي إنساناً كان أو نباتاً أو حيواناً.

ويعد العالم الأحيائي الألماني أرنست هايكل هو أول من استخدم المصطلح بهذا المعنى عام ١٩٦٩ م للإشارة إلى علاقة الكائن ببيئته العضوية وغير العضوية.

---

(١) شوقي دنيا: الإسلام وحماية البيئة، ص ٤١, ٤٢.

والجدير بالذكر أن أصل الكلمة يوناني مكون من مقطعين (oikos)بمعنى المنزل أو المسكن أو محل المعيشة و (logos) بمعنى علم أو معرفة وأصبحت الكلمة تشير الآن إلى علم البيئة، أي دراسة العلاقة المتبادلة بين الكائن والبيئة[١].

ومن التعريفات التي وردت للبيئة بالمعنى الواسع : هي الوسط أو المكان الذي يعيش فيه الإنسان وغيره من الكائنات الحية وغير الحية. والبيئة بمفهوم فني، هي مجموعة الظروف والعوامل الفيزيائية والعضوية وغير العضوية التي تساعد الإنسان، والكائنات الحية الأخرى على البقاء ودوام الحياة[٢].

وعرفت البيئة بأنها « الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر » ووفق هذا التعريف تبين أن البيئة ليست مجرد موارد يتجه إليها الإنسان ليستمد مقومات حياته، وإنما تشمل البيئة أيضاً « علاقة الإنسان بالإنسان التي تنظمها المؤسسات الاجتماعية والعادات والأخلاق والقيم والأديان »[٣]. أو « الوسط الذي يتصل بحياة الإنسان وصحته في المجتمع سواء أكان من خلق الطبيعة أم من صنع الإنسان »[٤].

وعرف البعض البيئة في الإسلام بأنها الوسط الذي يحيط بالإنسان من مخلوقات الله، فالبيئة المقصودة بحماية التشريع الإسلامي تشمل البيئة الطبيعية، والبيئة البيولوجية والبيئة الإنسانية.

---

(١) حسن إسماعيل موسى، البيئة وحقوق الإنسان (رؤية إسلامية) بحث ضمن حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي (الرياض. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ط١، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١) ج١ ص ٣٣٥.

(٢) أحمد عبد الكريم سلامة، قانون حماية البيئة (دراسة تأصيلية في الأنظمة الوطنية والاتفاقية (الرياض : جامعة الملك سعود، ط١ ، ١٤١٧ هـ) ص ١، وفي ص ٦٥ يقول : « البيئة هي مجموع للعوامل الطبيعية والبيولوجية والعوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، التي تتجاور في توازن، وتؤثر في الإنسان والكائنات الأخرى بطريق مباشر أو غير مباشر ».

(٣) رشيد الحمد، محمد سعيد صباريني، البيئة ومشكلاتها (الكويت، عالم المعرفة، ط٢ ، ١٩٨٤م) ص ٢٩.

(٤) نور الدين هنداوي، الحماية الجنائية للبيئة (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٥ م) ص ٥٩، ٦٤.

ويقصد بالبيئة الطبيعية الوسط الذي يحيط بالإنسان من مخلوقات الله مثل الماء والهواء والغابات والأراضي والحيوانات والطيور.

ويقصد بالبيئة البيولوجية، الوسط النباتي والحيواني الذي يحيا فيه الإنسان.

ويقصد بالبيئة الإنسانية ذلك الوسط الذي ابتدعه الإنسان كالآثار والإنشاءات المدنية والسدود [١].

وننتهي إلى أنه يقصد بالبيئة كل من :

١ـ البيئة الطبيعية وقوامها الماء والهواء والفضاء والتربة وما عليها أو بها من كائنات حية.

٢ـ البيئة الوضعية بما وضعه الإنسان في البيئة الطبيعية من مرافق ومنشآت لإشباع حاجاته [٢].

وفي مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة الذي عقد عام ١٩٧٢م تحت شعار « نحن لا نملك إلا كرة أرض واحدة » في استوكهولم بالسويد فقد عرف البيئة بأنها» رصيد الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ما وفي مكان ما لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته»[٣].

وعلى الرغم من أهمية هذه المفاهيم الحديثة للبيئة، والتي تعكس أبعادا مختلفة إلا أنها بالمقارنة بالمفهوم الإسلامي نلاحظ أنها افتقدت جوانب عديدة أهمها :

ـ إهمال هذه التعريفات لجوانب المحافظة على البيئة وحمايتها.

ـ التعامل مع البيئة باعتبارها رصيدا للموارد ووسيلة لإشباع احتياجات الفرد، دون التعرض لأساليب التعامل الرشيد معها. وبمعزل عن السنن الكونية التي تحكم هذا التفاعل، وإهمال البعد الجمالي للبيئة [٤].

---

(١) محمود صالح العادل، : الجواهر المضيئة في الإسلام وحماية البيئة (القاهرة: دار النهضة العربية، ط١، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م) ص ٦، ٧، ١٠، ١١.

(٢) ماجد الحلو، قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة، ص ٣٣، ٣٤.

(٣) رشيد الحمد، محمد صباريني، البيئة ومشكلاتها، ص ٢٨.

(٤) محمد منير حجاب، التلوث وحماية البيئة، ص ٢٣، ٢٤.

٢ . ٢ خصائص البيئة في الإسلام

تتميز البيئة في التصور الإسلامي بمجموعة من السمات أو الخصائص هي :

٢ . ٢ . ١ تفاعل مكونات البيئة الطبيعية

وقد عبر القرآن عن حقيقة التفاعل بين مكونات الطبيعة الحية وغير الحية في كثير من الآيات ومنها قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾** ﴾(سورة البقرة) . تشير هذه الآية إلى العلاقات التفاعلية بين الماء والتربة والرياح والسحب، وبين كل من البيئة النباتية والحيوانية التي تعيش على ما ينبته الماء من زروع وثمار، وبين ظاهرتي الليل والنهار التي تنتج عن حركة دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس، وأن هذه الوحدة الكونية المتكاملة المرتبطة التي تضم الأرض والسماء اللتين خلقهما الله، تستحقان الدراسة والتأمل، وتدلان على عظيم قدرة الخالق المبدع الموجد لهذا النظام الدقيق المحكم[١] .

وقد بين القرآن الكريم الغرض من هذه الوحدة الوظيفية بقوله تعالى : ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ . . . ﴿١٣﴾** ﴾(سورة الجاثية) . فالكون بكل ما فيه من مجرات ومجموعة نجمية ونجوم وكواكب وشمس وقمر، والأرض بكل ما فيها وما عليها من جماد ونبات وحيوان، كل ذلك مسخر بأمر الله للإنسان ومهيأ لتوفير المقومات اللازمة للحياة ولاستمراريتها على ظهر الأرض [٢] .

٢ . ٢ . ٢ التوازن

التوازن أهم السمات التي تميز البيئة الطبيعية بين عناصرها المختلفة، وهو يدل

(١) محمد منير حجاب : التلوث وحماية البيئة، ص ٢٥ .
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج٤ ص ١٤٨ .

دلالة قاطعة على عظمة الخالق وقدرته وهيمنته. يقول عز وجل: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴿٤٩﴾﴾ (سورة القمر). ويقول سبحانه وتعالى ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ** ﴿٢١﴾﴾ (سورة الحجر).

والتوازن بين العناصر في البيئة شيء قائم فعلاً وحقيقة. ويعتمد كل منها على الآخر في جزء من حياته واحتياجاته. ويقوم كل منها بمهمته في التعامل البيئي خير قيام إذا ما أتيحت له الفرصة كاملة فلو أن ظروفاً حدثت أدت إلى إحداث تغير من نوع ما في أحد هذه العناصر فإنه بعد فترة قصيرة قد تؤدي بعض الظروف الطبيعية الأخرى إلى تلافي آثار هذا التغيير، لأن كل شيء خلقه الله بقدر، ولكل شيء عمل ووظيفة، لتحقق الغاية من استمرار الحياة ﴿**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ** ﴿٣﴾﴾ (سورة الملك).

ويعد الإنسان أحد العوامل المهمة في هذا النظام البيئي، بل يعد من أهم عناصر الاستهلاك التي تعيش على سطح الأرض ولذلك فإن تدخل الإنسان في هذا التوازن الطبيعي دون وعي أو تفكير أفسد هذا التوازن تماماً. وتتعرض مكونات البيئة بالتالي للاختلال مما يعود بالضرر على حياته وعلى حياة الكائنات الأخرى التي تشاركه فيها[1].

٢ . ٢ . ٣ تعقد البيئة الطبيعية

يتوقف توازن النظام البيئي واستقراره على مدى تعقده. فكلما تعقد النظام البيئي ازداد ثباتاً واستقراراً.

وتعقد النظام البيئي كما أثبتOdum عام ١٩٦٣ م « يعني كثرة الأنواع النباتية والحيوانية في المجتمع، فكلما زادت، كلما كان المجتمع أكثر قدرة على التكيف في الظروف والمتغيرات، سواء أكانت المتغيرات قصيرة أم طويلة ـ كالمتغيرات المناخية ـ وبالتالي كان النظام البيئي أكثر ثباتاً واستقراراً ذلك أنه كلما ازداد عدد الأنواع، تعقدت

(١) محمد منير حجاب: التلوث وحماية البيئة ص ٢٦، ٢٨.

العلاقة بين الأنواع المكونة للنظام البيئي من ناحية، وبين الكائنات الحية والمكونات غير الحية من ناحية أخرى. ولهذا فإن أي عمل يقوم به الإنسان من تلويث للهواء والماء والتربة، وتدمير للغابات والمراعي الطبيعية وخفض لأعداد الحيوانات والنباتات وانقراضها يؤدي إلى تبسيط النظام البيئي، ويجعله أكثر عرضة للهدم والتخريب [١].

وقد امتن الله على خلقه بهذه السمة سمة التعقد التي جعلها للحياة النباتية والحيوانية في كثير من الآيات، ومنها قوله عز وجل: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾** ﴾(سورة الرعد).

٢ . ٢ . ٤ الاستمرارية

وتعني قدرة البيئة الطبيعية على المحافظة على وجودها وتوفير فرص استمراريتها من خلال قدرتها على استيعاب عوامل الإخلال ﴿ ... **قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾** ﴾ (سورة الطلاق). فقد أودع الله في البيئة الطبيعية قدرة على مقاومة بعض الصدمات التي تهددها بانهيار توازنها. من ذلك نظام المناعة التي يقي جسم الكائن الحي من خطر الإصابة بالأمراض، وعند الإصابة ينشط هذا النظام لمواجهة المخلوق الحي الدقيق.

وكذلك البيئة النباتية تستطيع أن تتحكم في التلوث في إطار قدرتها وإلا تهدد وجودها ذاته بخطر، فالأشجار والغابات الطبيعية تؤدي عملاً مهماً في تنقية الهواء من الغبار الساقط كما تمتص الأشجار كميات كبيرة من الغازات السامة [٢]، والأمطار

(١) محمد عبده العودات، عبد الله يحيي باصهى: التلوث وحماية البيئة (الرياض: جامعة الملك سعود، ط٣، ١٩٩٧ م) ص ١٢، ١٣.

(٢) حسين مصطفى غانم، الإسلام وحماية البيئة من التلوث (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٧ هـ-١٩٩٧ م)، ص ٦١.

التي تسقط من السماء تؤدي وظيفة وقائية إلى جانب إحياء الأرض وإنباتها. فهي تزيل المواد الملوثة للهواء كما أن جانباً كبيراً من الملوثات الصلبة يسقط معها إلى الأرض ليمتص في التربة. قال تعالى: ﴿ ... **وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا** ﴿٤٨﴾ ﴾ (سورة الفرقان).

ومما يكفل للبيئة الطبيعية عملية الاستمرار أيضاً، قدرتها على التخلص من جثث الكائنات الحية بعد دفنها، ومن بقايا النباتات بعد ذبولها خلال عملية التحلل التي تحدث لتلك النفايات. إذ تقوم بعض أنواع المخلوقات الحية الدقيقة من بكتريا وفطريات وأوليات وغيرها بتحويلها إلى مواد أولية بسيطة تصلح غذاءً لنباتات أخرى خضراء... وبذلك تمنع حدوث التلوث وتحافظ على البيئة. قال سبحانه وتعالى: ﴿ ... **ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا** ...﴿٢٠﴾ ﴾ (سورة الحديد). هذا بالإضافة إلى الطيور التي تخلص النباتات من الحشرات والحيوانات والقوارض التي تتغذى على النفايات.

وهذه الاستمرارية قائمة، وتظل البيئة محافظة على توازنها ما لم يخل الإنسان بالتوازن القائم فيزيد الاختلال عن القدرة الإصلاحية للبيئة[1]. وهذا التلوث يخالف سنن الله في الكون ويتصادم سلوكه مع قوانينه سبحانه وتعالى: ﴿ **هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴿١١﴾ ﴾ (سورة لقمان).

٢ . ٣ رعاية البيئة وعدم إفسادها

٢ . ٣ . ١ مفهوم الإفساد[2]

الإفساد لغة إذهاب ما في الشيء من نفع وصلاحية، والفساد خروج الشيء عن حد الاعتدال، ويضاده الصلاح ,أو تحول منفعة الشيء النافع إلى مضرة به أو بغيره[3].

---

(١) محمد منير حجاب: التلوث وحماية البيئة، ص٣٠.
(٢) الفساد لغة: الاضطراب والخلل والتلف والعطب وإلحاق الضرر. المعجم الوسيط ص ٦٨٨.
(٣) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن (بيروت، دار المعرفة، دون تاريخ) ص ٣٧٩.

لا يختلف الإفساد شرعاً عن هذا المفهوم اللغوي مع ملاحظة أن الشرع لم يحظر كل إزالة لصلاحية الشيء، وإنما حظر فقط الإزالة التي لا يترتب عليها نفع أو مصلحة أهم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ...﴿٥٦﴾﴾ (سورة الأعراف).

قال الرازي في تفسيرها « النهي عن الإفساد يدخل فيه النهي عن إفساد النفوس بالقتل وغيره، وإفساد الأموال بالسرقة والنهب والغش وغيرها، وإفساد الأديان، وإفساد الأنساب، وإفساد العقول، وذلك لأن المصالح المعتبرة في الدنيا في هذه الخمسة فقوله تعالى: (ولا تفسدوا في الأرض) منع من إدخال ماهية الإفساد في الوجود، والمنع من إدخال الماهية في الوجود يقتضي المنع من جميع أنواعه »[1].

وقال عز وجل: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾(سورة الروم).

قال البقاعي في تفسيرها: « ظهر الفساد أي النقص في جميع ما ينفع الخلق في البر بالقحط والخوف ونحوهما، وفي البحر بالغرق وقلة الفوائد من الصيد ونحوه من كل ما كان يحصل منه من قبل، بما كسبت أيدي الناس أي بما عملت من الشر عقوبة لهم عن فعلهم »[2].

وقد حدد البقاعي في مفهوم الفساد بالنقص في منفعة الأشياء ومثل لذلك بالقحط والخوف وقلة الصيد ونحو ذلك، والاعتداء على البيئة كما يتحدث عنه العلماء اليوم لا يتجاوز ذلك الإطار[3]. ونهى الرسول ﷺ عن قتل الكائنات الحية لغير حاجة وإن

(١) الرازي: التفسير الكبير (طهران: دار الكتب العلمية، دون تاريخ) ج١ ص ١٣٣.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (الهند: دار المعارف العثمانية، ١٩٧٥ م) ج ١٥ ص ١٠٤.
(٣) شوقي دنيا: الإسلام وحماية البيئة، ص ٤٥, ٤٦.

كان طائراً صغيراً وما ذلك إلا لما يسببه من عبث بالأحياء التي جعلها الله مسخرة للإنسان يقول عليه الصلاة والسلام : « من قتل عصفوراً عبثاً جاء إلى الله يوم القيامة يقول : يارب إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة »[1].

ومن مصطلح الإفساد يدل على مضمون مصطلح الاعتداء على البيئة وقد عرض العلامة ابن خلدون، لمسألة دقيقة هي أن تعطيل المورد يؤدي إلى تلوثه من جهة، وزواله من جهة أخرى، وقد مثل لذلك بالماء الراكد غير المستعمل[2].

وقبل ابن خلدون قال الفقهاء ومنهم الماوردي وأبو يعلي أنه لا يصح ترك الأرض عاطلة حتى لا تتحول إلى أرض موات، أي أرض لا منفعة لها، أرض ميتة[3]، وليس أبلغ في التحريض على استخدام الموارد وعدم تعطيل البيئة من قوله ﷺ » من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق »[4] وقال « من أحيا أرضاً ميتة فهي له وليس لعرق ظالم فيه حق »[5]. ويقصد بالأرض الميتة بالأرض البيضاء التي لا نبت فيها ولا شجر ولا يوجد فيها حيوان، أما أرض المراعي مهما كانت فقيرة بالنباتات ليست من الأرض الموات وإنما هي منتجة بقدرة الله وتؤدي دورها في استمرار الحياة واستقرارها على كوكب الأرض. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : « إن من أحيا أرضاً ميتاً ببنيان

(١) النسائي : سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي (القاهرة، المطبعة المصرية بالأزهر، ١٣٤٨ هـ-١٩٣٠ م) ج ٣ ص ٢٤٩.

(٢) المقدمة، تحقيق درويش الجويدي (بيروت، المكتبة العصرية، ط١ ، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م) ص ٣٥٥

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية تحقيق عصام الحرستاني، محمد الزغلي (بيروت، دمشق : المكتب الإسلامي، ط١ ، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦ م) ص ٢٧٤، وأبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية تحقيق محمد حامد الفقي (بيروت : دار الكتب العلمية، ط١ ، ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠م) ص ٢٠٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المزارعة والحرث، باب من أحيا أرضاً مواتاً، ج٢ ص ٨٢٣ رقم ٢٢١٠.

(٥) الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، كتاب الأحكام، باب ٣٨ ج٣ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ص ٦٦٢ رقم ١٣٧٨ ، ١٣٧٩. والعرق الظالم : الغاصب الذي يأخذ ما ليس له. قال الترمذي : هو الرجل الذي يغرس في أرض غيره.

أو حرث (زرع) ما لم تكن من أموال قوم ابتاعوها من أموالهم أو أحيوا بعضاً وتركوا بعضاً، فأجاز للقوم إحياءهم الذي أحيوا ببنيان أو حرث»[١]. ويقول أبو يوسف: «ولا أرى أن يترك الامام أرضاً لا ملك لأحد فيها ولا عمارة حتى يقطعها، فإن ذلك أعمر للبلاد وأكثر للخراج»[٢]. وقال ابن حزم: «يأخذ السلطان الناس بالعمارة وكثرة الغراس ويقطعهم الإقطاعات في الأرض الموات، ويجعل لكل أحد ملك ما عمره، ويعينه على ذلك، فبه ترخص الأسعار، ويعيش الناس والحيوان، ويعظم الأجر، ويكثر الأغنياء، وما تجب فيه الزكاة»[٣].

٣. حق الإنسان في بيئة صحية مناسبة

٣. ١ البيئة وعاء لحقوق الإنسان وحرياته

تعد البيئة هي الوعاء التي يمارس فيها الإنسان حقوقه الأساسية التي أهمها الحق في الحياة، وحتى يمكن ممارسة هذا الحق في الحياة لا بد من توافر شروط بيئية صحية بدون توافرها لا يمكن للإنسان البقاء على قيد الحياة وأهمها:

- توافر هواء نظيف يستطيع الإنسان أن يتنفسه.
- توافر ماء نظيف يستطيع الإنسان أن يشربه.
- توافر أرض جيدة التربة.

وهذه المحاور الثلاثة اللازمة لاستمرار الحياة هي القضايا التي تحظى باهتمام من يتناول قضايا البيئة، (وأهمها محور النظم البيئية المتوازنه المنتجة الداعمة للحياة).

---

(١) أبو عبيد القاسم، الأموال (تحقيق وتعليق محمد خليل هراس، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م) ص ٣٦٩.

(٢) الخراج تحقيق محب الدين الخطيب (مصر: المكتبة السلفية، ط٣، ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م) ص ٦٦.

(٣) نقلاً عن ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك تحقيق على سامي النشار (بغداد: وزارة الإعلام، ١٩٧٧ م) ج١ ص ٢١٩.

إن هذه المحاور الثلاثة وثيقة الصلة بحقوق الإنسان، إذ يصعب الفصل بين عناصر البيئة الصالحة وبين ضرورات الإنسان وحقه في حياة كريمة تحفظ عليه إنسانيته، وتصون حقوقه وتحمي كرامته، وتكفل له حاجاته كإنسان يحمل أمانة الخلافة عن الله في الأرض.

إن حق الإنسان في بيئة صحية سليمة ينطلق من حق الكرامة الإنسانية والاستخلاف في الأرض، ومن مكارم الأخلاق ومقاصد الشريعة التي تأبى الفساد في الأرض بكل أنواعه لقول الرسول ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[1].

وهذا الحديث أصل القاعدة الفقهية: «لا ضرر ولا ضرار» التي تعد إحدى الأمهات الخمس التي يتفرع عنها عدة قواعد.

و«الضرر: إلحاق مضرة بالغير، والضرار مقابلة الضرر بالضرر، ونص الحديث ينفي الضرر نفياً فيوجب منعه مطلقاً، ويشمل الضرر الخاص والعام. ويشمل دفعه قبل الوقوع بطرق الوقاية الممكنة، ورفعه بعد الوقوع بما يمكن من التدابير التي تزيل آثاره وتمنع تكراره، وتدل أيضاً على وجوب اختيار أهون الشرين لدفع أعظمهما،

(١) حديث حسن بطرقه وشواهده. رواه مالك في الموطأ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٠ هـ-١٩٥١ م) ج٢ ص ٧٤٥ من طريق عمرو بن يحيي المازني عن أبيه عن النبي ﷺ، وهذا سند صحيح إلا انه مرسل، ورواه موصولاً من حديث أبي سعيد الخدري الحاكم في المستدرك على الصحيحين وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم (الهند، حيدر آباد، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ط ١٣٤٠هـ) ج٢ ص ٥٧، ٥٨. وقال أبو عمرو ابن الصلاح: «هذا الحديث أسنده الدار قطني من وجوه، ومجموعها يقوي الحديث ويحسنه، وقد تقبله جماهير أهل العلم، واحتجوا به، وقول أبي داود إنه من الأحاديث التي يدور عليها الفقه، يشعر بكونه غير ضعيف» ابن رجب: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤١٧هـ-١٩٩٧ م) ج٢ ص ٢٠٧-٢١١.

(٢) مصطفى الزرقا: المدخل الفقهي العام (إخراج جديد) (دمشق، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ-١٩٩٨ م) ج٢ ص ٩٩.

(٣)شيخ الإسلام ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج٢٠ ص ٤٨.

لأن في ذلك تخفيفاً للضرر عندما لا يمكن منعه بتاتاً »[٢]« فالشريعة جاءت لتحصيل المصالح وتكميلها، وتقليل المفاسد وتعطيلها»[٣].

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور« إذا نحن استقرأنا موارد الشريعة الدالة على مقاصدها من التشريع، استبان لنا من كليات دلائلها ومن جزئياتها المستقرة أن المقصد العام من التشريع فيها هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه، وهو نوع الإنسان. ويشمل صلاحه صلاح عقله، وصلاح عمله، وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه»[١].

٣ . ٢ مفهوم الحق والواجب في الإسلام

الحق والواجب متممان لبعضهما، إذ كل حق يقابله واجب، وأداء الواجب يترتب عليه ثبوت الحق[٢].

والحق في اللغة : الثابت الذي لا يجوز إنكاره، وهو مصدر حق الشيء يحق إذا ثبت ووجب، وهو خلاف الباطل، وحق الله الأمر حقاً : أثبته وأوجبه.

ويطلق في اللغة : على الملك، والموجود، والثابت، والمال[٣].

(١) محمد الطاهر بن عاشور : مقاصد الشريعة الإسلامية تحقيق محمد الطاهر الميساوي (الأردن، دار النفائس، ط١ ، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م) ص ٢٠٠ .

(٢) محمد سلام مدكور : معالم الدولة الإسلامية (الكويت، مكتبة الفلاح، ط١ ، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م)، ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٣) أبو عبد الله الرازي : تفسير غريب القرآن العظيم تحقيق الدكتور حسين المالي (أنقرة، تركيا : مديرية النشر التابعة لوقف الديانة التركية، ط١ ، ١٩٩٧ م) ص ٣٤٦ ـ ٣٤٨، وابن منظور : لسان العرب المحيط إعداد يوسف الخياط (بيروت، دار لسان العرب، دون تاريخ) ج١ ص ٦٨٢ ، ٦٨٢ والفيروز آبادي : القاموس المحيط (بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م) ص ٨٧٤، والمعجم الوسيط (القاهرة، مجمع اللغة العربية، ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م) ج ١ : ١٨٨ . واستعمل الفقهاء والأصوليون كلمة« الحق » في حدود المعنى اللغوي، قال الشيخ علي الخفيف : استعمل علماء الفقه الإسلامي اسم الحق كثيراً في مواضع مختلفة، وفي معان عديدة متمايزة ذات دلالات مختلفة، على الرغم من انتظامها في معنى عام يجمعها هو الثبوت . . . وقد قال الشيخ عز الدين بن عبد الملك في شرح المنار للنسفي (وحواشيه) ص ٨٨٦ : «إن الحق هو الموجود من كل وجه الذي لا ريب في وجوده» وهذا التعريف كما هو ظاهر عين معناه اللغوي. الشيخ علي الخفيف : الملكية في الشريعة (بيروت، دار النهضة العربية، ط ١٩٩٠ م) ص ٩ .

أما في الاصطلاح الفقهي :

عرف القاضي حسين بن محمد المروزي الحق بأنه «اختصاص مظهر فيما يقصد له شرعاً»[1].

وهذا التعريف جامع مانع، لأن تعريف الحق بأنه اختصاص جامع لأنه يشمل حقوق الله تعالى وحقوق الأشخاص الطبيعية والاعتبارية، كما أنه يشمل كل الحقوق الشرعية التي يقررها الشرع للشخص بما فيها حقوق الأسرة وحقوق المجتمع.

وتعريف مانع، كون الاختصاص يقر به الشرع، يمنع من دخول الحقوق التي لا يقرها الشرع، كاختصاص الغاصب بالمغصوب، والسارق بالمسروق.

وقال سعد الدين التفتازاني (أحد علماء القرن الثامن الهجري) إن حق الله هو «ما يتعلق به النفع من غير اختصاص» وأما حق العبد فقد عرفه التفتازاني بأنه «ما يتعلق به مصلحة خاصة»[2].

لذا عرف البعض الحق بنوعيه عند التفتازاني بأنه «ما تعلق به عام أو مصلحة خاصة»[3].

وقد عرفه بعض الفقهاء المحدثون بأنه مصلحة. منهم الشيخ علي الخفيف بقوله: الحق: «مصلحة مستحقة لصاحبها شرعاً»[4]. وانتقد هذا التعريف

(١) من فقهاء الشافعية الكبار، المتوفى ٤٦٢ هـ في كتابه «طريقة الخلاف بين الشافعية والحنفية، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٥٢٣ فقه شافعي، الورقة ١٥٠ أ.

(٢) التفتازاني، شرح التلويح على التوضيح (القاهرة، دار العهد الجديد للطباعة، دون تاريخ)، ج ٢ ص ١٥١.

(٣) محمد رأفت عثمان، الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية في الإسلام (بيروت، دار اقرأ، ط٣، ١٤٠٣هـ-١٩٨٢ م) ص ١٣.

(٤) المنافع، للشيخ علي الخفيف، بحث منشور بمجلة القانون والاقتصاد تصدر عن كلية الحقوق، جامعة القاهرة, السنة العشرون، ١٩٥٠ م، العددان الثالث والرابع، ص٩٨، وكذلك الدكتور محمد الزحيلي: حقوق الإنسان في الإسلام (دمشق، وبيروت: دار القلم الطيب ودار ابن كثير، ط٢، ١٤١٨-١٩٩٧ م) ص ٩.

بأنه عرف الحق بغايته، فالحق بذاته ليس مصلحة، بل هو وسيلة إلى مصلحة، والمصلحة هي محل الحق، وأن الحق هو علاقة اختصاصية بين الشخص والمصلحة[١].

وننتهي إلى تأييد تعريف الحق بأنه «اختصاص ثابت من الشرع. يقتضي سلطة أو تكليفاً لله على عباده أو لشخص على غيره»[٢].

والحقوق تثبت إما لله سبحانه أو للناس بعضهم على بعض. وحق الله ما يتعلق به النفع العام للعالم من غير اختصاص بأحد، فينسب إلى الله تعالى، لعظم خطره وشمول نفعه أو كما قال ابن القيم: « حق الله ما لا مدخل للصلح فيه، كالحدود والزكوات والكفارات ونحوها ». وأما حق العبد فهو ما يتعلق به مصلحة خاصة له، كحرمة ماله، أو كما قال ابن القيم: « وأما حقوق العباد، فهي التي تقبل الصلح والإسقاط والمعاوضة عليها»[٣].

وإذا كان الإنسان باعتباره عبداً مخلوقاً لله عز وجل لا يملك أن يعطي لنفسه حقوقا، فإن الحقوق التي منحته إياها الشريعة الإسلامية ليست إلا تفضلاً من الخالق جل وعلا ورحمة منه لبني الإنسان[٤]. فالحق في شريعة الإسلام ليس حقاً طبيعياً لأحد كما تعتبره التشريعات الوضعية، وإنما هو منحة من الله عز وجل روعي فيها مصلحة الفرد متوائمة مع مصلحة الجماعة[٥] فليس من حق بشر ـ كائن من كان ـ أن يعطلها، أو يتعدى عليها، ولا تسقط حصانتها الذاتية، لا بإرادة الفرد نزولا عنها،

(١) مصطفى الزرقا: المدخل إلى نظرية الالتزام العامة في الفقه الإسلامي، (إخراج جديد) (دمشق: دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م) ص١٣.

(٢) عبد السلام العبادي: الملكية في الشريعة الإسلامية (الأردن، مكتبة الأقصى، ط١، ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٧٧ م) ج١ ص ١٠٣.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٧ هـ ١٩٩٧ م) ج١ ص ١٠٨.

(٤) الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، شرح عبد الله دراز (بيروت، دار المعرفة، ط٢، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م) ج٢ ص ٣٧٧.

(٥) محمد رأفت عثمان، الحقوق والواجبات في الإسلام ص ١٧.

ولا بإرادة المجتمع ممثلاً فيما يقيمه من مؤسسات أياً كانت طبيعتها، كيفما كانت السلطات التي تخولها فهي منح إلهية تتسم بالكمال والشمول والعموم وأنها غير قابلة للإلغاء [1].

واشترطت الشريعة في استعمال الإنسان لحقه ألا يضر بمصالح الغير، وأن يكون ذلك متفقاً مع مصلحة الجماعة، والحق إذن في الشريعة يستلزم واجبين :

أولهما : واجب على صاحب الحق نفسه أن يكون استعماله لحقه خالياً من إلحاق الضرر بغيره.

ثانيهما : واجب على ماعدا صاحب الحق ألا يقف في سبيل هذا الحق.

الواجب في اللغة من معانيه : لزم وثبت [2].

وفي الاصطلاح : قال السمعاني : الواجب ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه[3].

وقال الجرجاني : «ما ثبت وجوبه بدليل فيه شبهة العدم كخبر الواحد، وهو يثاب بفعله, ويستحق بتركه عقوبة لو لا العذر حتى يضلل جاحده ولا يكفر»[4].

٣ . ٣ طبيعة حق الإنسان في بيئة نظيفة

إن حق الإنسان في بيئة صحية مناسبة يعم نفعه جميع الناس، فهو حق عام أي أنه من حقوق الله عز وجل.

---

(١) انظر تفصيل ذلك : فؤاد عبد المنعم أحمد : أصول نظام الحكم في الإسلام مع بيان التطبيق في المملكة العربية السعودية (الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ١٤١١ هـ-١٩٩١ م) ص ٢٥٢ -٢٥٨.

(٢) الفيروزابادي، القاموس المحيط ص ١٤١، والمعجم الوسيط ص ١٠١٢.

(٣) السمعاني، قواطع الأدلة في الأصول تحقيق محمد حسن محمد (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١ ، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧ م) ج١ ص ٢٣, ٢٤.

(٤) الجرجاني، التعريفات تحقيق إبراهيم الأبياري (بيروت، دار الكتاب العربي، ط٤ , ١٤١٨ هـ-١٩٩٨م) ص ٣٢٢.

والواجب على الحاكم وأعوانه توفير البيئة الصحية النظيفة للرعية. وعلى الرعية المطالبة بهذا الحق والحرص عليه، ولا يجوز لها النزول عنه أو التهاون فيه.

٣ . ٤ مقاصد الشريعة والبيئة الصحية المناسبة

إن مقاصد الشريعة هي « المعاني الغائية التي اتجهت إرادة الشارع إلى تحقيقها عن طريق أحكامه » . . . والمعاني تشمل المعاني الكلية التي تدور حولها أحكام الشريعة مثل إقامة المصلحة ورعايتها والحفاظ عليها، وما يتفرع عن هذا المقصد الكلي من مقاصد أكثر تخصيصاً مثل الحفاظ على النفس والمال والنسل . . . وأن الأحكام شرعت وسائل لإقامة هذه المقاصد وتحقيق غايات مرسومة لها شرعاً، وليست هي غاية في حد ذاتها [١].

قال الشاطبي : « إن الأعمال الشرعية ليست مقصودة لأنفسها وإنما قصد بها أمور أخرى هي معانيها، وهي المصالح التي شرعت لأجلها » [٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : «الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها » [٣].

إن المصلحة في الفقه الإسلامي أصل قائم بذاته، ويتعين على الفقيه أن يحكم بأن كل عمل فيه مصلحة لا ضرر منها، أو كان النفع فيه أكثر من ضرره مطلوب، دون حاجة إلى شاهد خاص لهذا النوع.

وجمهور الفقهاء قسم المصالح من حيث قوتها إلى ثلاث مراتب يلحق بكل منها ما يجري على التكملة والتتمة لها.

وطبقاً لهذا التقسيم تنقسم المصلحة إلى أقسام ثلاثة : مصلحة ضرورية، ومصلحة حاجية ومصلحة تحسينية.

(١) عبد الرحمن إبراهيم الكيلاني، قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي (دمشق : دار الفكر، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م) ص ٤٧.
(٢) الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ج٢ ص ٣٨٥.
(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١، ص ٢٦٥.

والمصلحة الضرورية : « لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت الحياة »[١]. وقال ابن عاشور «المصالح الضرورية هي التي تكون الأمة بمجموعها وآحادها في ضرورة تحصيلها بحيث لا يستقيم النظام بإخلالها، بحيث إذا انخرمت تؤول حال الأمة إلى فساد وتلاش»[٢]. وتنحصر المصالح أو المقاصد الضرورية في حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

أما المصالح الحاجية «فهي ما افتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة ثبوت المطلوب»[٣] فإذا لم تراع دخل على المكلفين على الجملة الحرج والمشقة، ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة، وقال ابن عاشور : « الحاجي هو ما تحتاج الأمة إليه لاقتناء مصالحها وانتظام أمورها على وجه حسن بحيث لو لا مراعاته لفسد النظام، ولكنه كان على حالة غير منتظمة، فلذلك لا يبلغ مبلغ الضروري »[٤].

والتحسينيات : ومعناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق [٥].

وقال ابن عاشور : « المصالح التحسينية هي ما كان بها كمال حال الأمة في نظامها حتى تعيش آمنة مطمئنة ولها بهجة منظر المجتمع في مرأى بقية الأمم حتى تكون الأمة الإسلامية مرغوباً في الاندماج فيها أو التقرب منها»[٦].

---

(١) الشاطبي ،الموافقات، تعليق محمد الخضر حسين التونسي (بيروت : دار الفكر، ط١ ، ١٣٤١) ج٢ ص ٤.
(٢) مقاصد الشريعة ص ٧٩.
(٣) الشاطبي ، الموافقات، ج٢ ص ٤.
(٤) مقاصد الشريعة، ص ٨٢.
(٥) الموافقات، ج ٢، ص ٥.
(٦) مقاصد الشريعة الإسلامية، ص ٨٢.

«وأغلب المصالح البيئية المشمولة بحماية التشريع الإسلامي، هي مصالح ضرورية كحفظ النفس والنسل والمال والعقل أي أن هذه المصالح تستهدف حماية حق الإنسان في حياة آمنة . . . »[١].

٣ . ٥ حق الحياة من الضروريات

إن مقاصد الشريعة هي تحقيق المصالح التي تحدد الإطار العام للشرع، وتبين الأهداف السامية التي ترمي إليها الشريعة من الأحكام الكلية والجزئية، وتكشف عن الهدف الذي يرسمه الشارع للناس، وأنه يرجع إليها عند فقدان النص لبيان حكم المسائل والوقائع الجديدة، وأن هذه المقاصد تعين على فهم النصوص الشرعية وتفسيرها، وتحديد مدلولات الألفاظ ومعانيها، والترجيح عند التعارض[٢]. قال الإمام أبو حامد الغزالي: «مقصود الشرع من الخلق خمسة : هو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، وما لهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول، فهو مفسدة ودفعها مصلحة»[٣].

(١) العادلي، الجواهر المضيئة في الإسلام وحماية البيئة ص ١٦ . «ويضيف أن جانباً من المصالح البيئية المشمولة بحماية التشريع الإسلامي هي مصالح حاجية، أي أنها مصالح ليست ضرورية للحفاظ على أصول المصالح الكلية، وإنما هي مصالح تكمل هذا الحفاظ، وترفع عن تحصيل أصل هذه الحرج الشديد والمشقة الزائدة، ومن صورة هذه المصالح الحاجية، التي يحميها التشريع الإسلامي، مصلحة الإنسان والحفاظ على صحة البيئة . فصحيح أن عدم الحفاظ على صحة البيئة لن يفوت مصلحة من المصالح الضرورية كحفظ الدين أو النفس أو النسل أو العقل أو المال, غير أن الحفاظ على المصالح الضرورية لا يكون أكمل وأتم إلا إذا روعيت مصلحة الإنسان في صحة البيئة» . والحقيقة أن عدم الحفاظ على صحة البيئة وسلامتها يؤدي إلى تدهورها مما يفوت مصلحه من المصالح الضرورية كحفظ النفس والعقل والنسل والمال .

(٢) محمد الزحيلي، حقوق الإنسان في الإسلام ص ٨٠ .

(٣) المستصفى في أصول الفقه (تحقيق محمد سلمان الأشقر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م) ج١ ص ٤١٧ .

وحق الحياة هو حفظ للنفس وحمايتها وعدم الاعتداء عليها فأوجب تناول الطعام والشراب واللباس والمسكن وأوجب القصاص والدية والكفارة وحرم الإجهاض والوأد, وقتل النفس أو الانتحار.

وفي سبيل الحفاظ الكامل على النفس الإنسانية اهتم الإسلام برعاية الجسم رعاية كاملة، فدعا إلى النظافة والطهارة، وطلب البعد عن كل ما فيه هلاك محقق للجسم، أو خطر محدق، أو ضرر منتظر، وحرم كل ما يضر الجسم أو يوهنه، أو يضعفه، واتخذ جميع الوسائل لحفظ الحياة، وبذل الطاقة في صيانتها وسلامتها [1].

وحق الحياة في الشريعة الإسلامية هبة من الله تعالى، يجب حفظه ورعايته وعدم الاعتداء عليه، وهو مأخوذ من الحديث الصحيح: (كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه)[2]، وهو ما جاء في خطبة الوداع: (إن دماءكم وأعراضكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا)[3].

ويعد حق الحياة مكفولاً في الشريعة لكل إنسان، ويجب على سائر الأفراد أولاً، والمجتمع ثانياً، والدولة ثالثاً، حماية هذا الحق من كل اعتداء ووجوب تأمينه بالوسائل اللازمة ومنها توفير بيئة صحية مناسبة.

٣ . ٦ صحة الإنسان وسلامة البيئة الطبيعية في الإسلام

حرص الإسلام على سلامة البيئة الطبيعية بأبعادها الفرعية من ماء، وهواء، وتربة. وحثنا على ملازمة جميع الأسباب الواقية للمحافظة على سلامة ونظافة محيطنا وسلامة بيئتنا من كل اختلال، لننعم بكل ضروريات الحياة من غذاء وشراب وتنفس، وتتوفر لنا البيئة الصحية السليمة التي نتمتع فيها بالعافية، وإيجاد محيط نظيف في

(١) محمد الزحيلي: حقوق الإنسان في الإسلام ص ٨٦-٨٨.
(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة، وأوله « لا تحاسدوا. . . » صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ج٤ ص ١٩٨٦ رقم ٥٦٤.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى ج٢ ص ٦١٩ رقم ١٦٥٢.

أطر جمالية بيئية يحلو فيها العيش ويسعد الإنسان [١]. فهي مجموعة من العناصر المختلفة التي توجد ويجب المحافظة عليها بصورتها الطبيعية حتى لا تضر بصحة الإنسان بصفة عامة داخل مجتمع معين [٢].

٣ . ٦ . ١ الماء أساس الحياة

إن الماء أصل الحياة الإنسانية والحيوانية والنباتية، فالله خلق كل شيء من الماء، وحفظ حياة كل شيء بالماء[٣] فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿ ... **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ** ... ﴿٣٠﴾ ﴾ (سورة الأنبياء)، ويقول جل جلاله: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾** ﴾ (سورة النحل).

إن الماء هو المكون الأساسي لخلايا الكائنات الحية، وتصل نسبته في أجسام الأحياء النشطة إلى ٩٠ ٪، وهو إما وسيط أو عامل مساعد داخل في التفاعلات والتحولات التي تحدث داخل أجسام الأحياء، وهو الذي يحمل الغذاء والهواء في أجسام هذه الأحياء مخلصاً إياها من النفايات الضارة. . . نتحا في النبات وبولاً وعرقاً وبخاراً في هواء الزفير للإنسان والحيوان [٤].

وهو في أصله نقي طاهر خال من التلوث والشوائب كما أنزله الله تعالى. . . قال تعالى: ﴿ ... **وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾** ﴾ (سورة الفرقان).

وقال عز من قائل: ﴿ **وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾** ﴾ (سورة ق).

وللماء في الإسلام أهمية خاصة حيث إن له وظيفتين اجتماعية ودينية، وهي تطهير البدن والملبس والمسكن مما يعلق به من الأوساخ والنجاسات، وشرع الإسلام

(١) عبد اللطيف الغامدي: حقوق الإنسان في الإسلام، ص ١٢٠.
(٢) نور الدين هنداوي: الحماية الجنائية للبيئة ص ٦٤.
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، مرجع سابق، ج١١ ص ٢٨٤.
(٤) محمد منير حجاب: التلوث وحماية البيئة، ص ٥٧.

الماء للغسل والتطهر لأداء العبادات مثل الصلاة والحج والعمرة[1]. قال تعالى: ﴿ ... **وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم به** ....﴿١١﴾ ﴾ (سورة الأنفال).

والماء مصدر السقيا للأحياء، وبه يقضى على العطش[2] قال سبحانه وتعالى: ﴿ ... **وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ به بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾** ﴾(سورة الفرقان).

والماء هو الوسط الطبيعي المناسب لحياة كثير من الكائنات التي خلقها الرحمن لتغذية الإنسان، لكي يبتغي الناس من فضل الله ويشكروه على ما أنعم به عليهم[3]. قال عز وجل: ﴿ **وَهُوَ الذي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا منْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا منْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا من فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾** ﴾ (سورة النحل).

٣ . ٦ . ٢ الماء ملكية عامة

وحق الانتفاع بالماء لجميع البشر على مدى الأجيال المختلفة لملكية مشتركة، خلقه الله للإنسان لينتفع به، وجعله مستخلفاً عليه أي أعطاه حق الاستنفاع، ومن ثم فإن المحافظة على سلامة المياة واجب على الجميع، قال تعالى: ﴿ **وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَينَهُمْ** ...﴿٢٨﴾ ﴾ (سورة القمر). وقال الرسول ﷺ: (الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار)[4].

ونهى الرسول ﷺ عن التبرز في الموارد، لما يسببه من تلوث وانتشار الأمراض والأوبئة قال عليه الصلاة والسلام: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة

---

(١) عبد اللطيف الغامدي: حقوق الإنسان في الإسلام ص ١٢٠، ١٢١.
(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٣٢١.
(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص ٥٦٤.
(٤) سنن أبي داود، في الإجارة، باب في منع الماء رقم ٣٤٧٧، وإسناده صحيح. عبد القادر الأرناؤوط تحقيق جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ لابن الأثير ج١ ص ٤٨٦ حديث رقم ٣١٣.

الطريق، والظل »[١]. ونهى عن التبول في الماء الدائم لأنه عرضة للنجاسة فقال ﷺ: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري، ثم يغتسل فيه »[٢]. ويقاس على ذلك جميع أنواع النفايات التي تلقى سواء على اليابسة أو في المياه سواء أكانت تلك المياه أنهاراً أم بحاراً أم محيطات. وسواء أكانت تلك النفايات من فضلات الإنسان أم مخلفات المصانع، أم النفايات والمخلفات النووية التي هي أشد فتكاً حيث إنها أطول عمرا وأشد ضرراً من غيرها[٣].

٣ . ٦ . ٣ حماية الهواء من التلوث

عبر القرآن الكريم في آيات كثيرة عن الهواء بالرياح أو الريح، وهو الهواء ظاهر الحركة. واعتبر الله تعالى الرياح آية من الآيات الدالة على وجوده وقدرته ، فقال جل جلاله : ﴿ ... **وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴿١٦٤﴾ ﴾ (سورة البقرة) والهواء أساسَ التنفسَ الذي به قوام الحياة لجميع الكائنات الحية من إنسان وحيوان ونبات، وكيف أن من حكمته سبحانه أن جعل النباتات تقوم بعملية البناء الضوئي، وهو أن تقوم بامتصاص غاز ثاني أكسيد الكربون، وتطلق الأكسجين نهاراً يقوم النبات بعملية البناء الضوئي في الضوء بتحويل ثاني اكسيد الكربون إلى سكريات ونشا أي غذاء وتحليل جزيء الماء إلى هيدروجين يستخدم في بناء السكر وأوكسجين ينطلق في الهواء الجوي , ويقوم النبات أيضا في الضوء بعملية التنفس التي يمتص فيها الأوكسجين ويحرق السكر والغذاء ويخرج ثاني اكسيد الكربون وبخار الماء وفي غياب الضوء (ليلا أو نهارا لأي سبب) تتوقف عملية البناء الضوئي وتستمر عملية التنفس لأنها عملية ضرورية لاستمرار الحياة يقوم بها جميع الأحياء من نبات وحيوان وغيرها ليلا و نهارا، وما ذاك إلا لتنقية الهواء من ثاني أكسيد الكربون

---

(١) سنن أبي داود، في الطهارة، باب المواضع التي نهى النبي ﷺ عن البول فيها رقم٢٦ .
(٢) صحيح البخاري، في الوضوء، باب : البول في الماء الدائم ج١ ص ٩٤ رقم ٢٣٦، وصحيح مسلم، في الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد ج١ ص ٢٣٥ رقم ٢٨٢ .
(٣) عبد اللطيف الغامدي، حقوق الإنسان في الإسلام ص ١٢٢ .

وهو ضار للأحياء من إنسان وحيوان. وتلوث الهواء هو كل تغيير في مكونات الهواء كماً أو كيفاً، بما من شأنه الإضرار بالكائنات الحية أو غيرها من عناصر البيئة فمركبات الزرنيخ والزئبق والرصاص والفوسفور تتلف أنسجة الجسم وتصل إليه عن طريق الدم، كما أن غاز أول أوكسيد الكربون الذي يمنع الدم من استخلاص الأكسجين من الهواء يعد من الملوثات الخانقة لأنه سام، وتلوث الهواء تلوثاً حرارياً نتيجة للحرائق ودخان المصانع وأجهزة تكييف الهواء[1] وسير السيارات والنقالات.

ويشير علماء البيئة في بحوثهم إلى أن عالماً يدعى «جون شلين» اكتشف مشكلة تلوث الهواء منذ أكثر من ثلاثة قرون، وبالتحديد عام ١٦٦١ م عندما قدم بحثاً عن الدخان في مدينة لندن حيث ظهر آثار تلوث الهواء الناتج عن احتراق الفحم، واستخلص أن التلوث يؤدي إلى انخفاض نسبة الأشعة الشمسية، وارتفاع في الوفيات نتيجة أمراض الجهاز التنفسي[2].

وقد عرض العلامة ابن خلدون لمشكلة تلوث الهواء بصورة أعمق وأكثر دقة فقد لاحظ أن صناعة الطب محتاج إليها في الحواضر دون البادية، وأن أهل البادية أكثر صحة من أهل الأمصار وفي هذا يقول: «إن الأهوية في الأمصار تفسد بمخالطة الأبخرة العفنة من كثرة الفضلات والأهوية منشطة للأرواح ومقوية بنشاطها الأثير الغريزي في الهضم... وأما أهل البدو فأهويتهم... قليلة العفن لقلة الرطوبة والعفونات إن كانوا آهلين أو لاختلاف الأهوية إن كانوا ظواعن...»[3].

ومنذ بداية الثورة الصناعية وتزايد النشاط الصناعي وازدحام المدن بوسائل النقل الحديثة، تعرض الهواء لأنواع مختلفة من الملوثات، مثل أكاسيد النتروجين، وأكاسيد الكبريت، وأكاسيد الكربون، والهيدروكربونات وغيرها... وقد أثبتت الدراسات أن درجة تركيز الملوثات الهوائية في الغلاف الجوي آخذة في التزايد باستمرار، لدرجة

(١) ماجد الحلو، قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة ص ١٥١, ١٥٢.
(٢) عاطف عليان، كيمياء وفيزياء الملوثات البيئية (ليبيا: جامعة قار يونس) ص ٢٣، ٢٤.
(٣) ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص ٣٨٥، ٣٨٦.

أنها تحد من وصول أشعة الشمس بكامل قوتها إلى سطح الأرض في بعض المناطق الصناعية [٢].

ويرى علماء المناخ والأرصاد الجوية أن طبقة التروبوسفير من الغلاف الجوي المحيط للأرض قد بدأت تتغير ويختل توازنها بسبب زيادة حجم الملوثات في الهواء. ويؤكد ذلك ظهور طبقة كثيفة من الملوثات تشاهد فوق المحيطات والقطب الشمالي.

إن مشكلة التلوث الهوائي تعود إلى زيادة استغلال موارد الطاقة كالفحم والنفط، وزيادة التركيز الصناعي والسكان في المدن[٢].

وقد حث رسول الله ﷺ على غرس الأشجار بقوله «إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها»[٣]. وقال: « ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فتأكل منه طير، أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة » [٤].

وإلى جانب ما يقوم به النبات من تنقية للهواء، فهو يعطي منظراً جميلاً مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ ... **فَأَنْبَتْنَا به حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ** ... ﴿٦٠﴾ ﴾ (سورة النمل).

إن إفساد الهواء أو تلويثه يؤدي إلى قتل سريع أو بطيء للأنفس، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ ... **وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴿٢٩﴾ ﴾ (سورة النساء)، **كما أن تلويث الهواء يعد إفساداْ في الأرض، والله جلَ شأنهَ يقول** ﴿ **وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ المُحْسِنِينَ** ﴿٥٦﴾ ﴾(سورة الأعراف).

(١) عبد العزيز أحمد دياب، تلوث الهواء (الكويت: مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد ١٧، عدد ٣، ص ٧٩.

(٢) محمد منير حجاب، التلوث وحماية البيئة ص ٩٢.

(٣) أحمد بن حنبل، المسند تحقيق أحمد محمد شاكر (مصر: دار المعارف، ١٩٥٢ م) ج٣ ص ١٨٤، وإسناده صحيح.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب: فضل الزرع والغرس إذا أكل منه ج٢ ص ٨١٧ رقم ٢١٩٥، وصحيح مسلم، في المساقاة، باب: فضل الغرس ج٣ ص ١١٨٨ رقم ١٥٥٣.

٣ . ٦ . ٤ سلامة التربة وعدم تلويثها

التربة هي الطبقة السطحية للأرض التي تستخدم في الزراعة وتتكون من ٤٥ ٪ مواد معدنية (طفل وطمي ورمل ناعم جداً)، ٥ ٪ من مواد عضوية (عبارة عن تراكمات مخلفات نباتية وحيوانية ومن ٢٥ ٪ ماء وتتوقف درجة خصوبة التربة وإنتاجها على التكوين الطبيعي والكيماوي والبيولوجي لهذه المكونات [١] .

وتتلوث التربة بالنفايات الصلبة والفضلات المنزلية والمبيدات الحشريةوالعشبية والأسمدة الكيماوية والمعادن الثقيلة كالرصاص والزئبق والكاديوم والألمنيوم والملوثات الأخرى كالأمطار الحامضية والغبار الذري من التفجيرات النووية .

وعندما تختلط الملوثات بالتربة الزراعية تفقدها خصوبتها وتؤثر تأثيراً سيئاً فيها[٢] .

وقد حث الإسلام على سلامة التربة وعدم تلوثها، فإن دخول أجسام غريبة في التربة يؤدي إلى تغيير في التركيب الكيميائي والفيزيائي وغالباً ما ينتج عن استخدام المبيدات والأسمدة، وهطول الأمطار الحامضية وإلقاء مخلفات الإنسان، ومياه الصرف الصحي في التربة دون معالجة كثير من المشاكل الصحية والبيئية، وكذا إلقاء نفايات المصانع، ومخلفات تكرير البترول، والنفايات النووية في التربة أشد فتكاً بالصحة والبيئة,وكثيرا ما تصل هذه الملوثات من خلال التربة الى مستودعات المياه الجوفية وتلوثها وتفسدها أيضا , وقد نهى الإسلام عن إلقاء مخلفات الإنسان في موارد المياه والأماكن التي يرتادها الناس وقارعة الطريق، والظل وشدد على ذلك، وجعل

---

(١) أحمد خالد علام، عصمت عاشور أحمد : التلوث وتحسين البيئة (القاهرة : نهضة مصر للطباعة والنشر، ط١ ، ١٩٩٩ م) ص ١٠٠ ، ١٠١ ، وقد لاتحتوي التربه على اي مواد عضوية أو أقل من ١٪ .

(٢) محمد عبد القادر الفقي، البيئة ومشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث، رؤية إسلامية، مرجع سابق، ص ٧١-٧٣، إحسان علي محاسنه : البيئة والصحة العامة (عمان دار الشروق، ط١ ، ١٩٩٢ م) ص ٥٨ ، ٥٩ .

فاعلها مستحقاً للعن، وهو الطرد والإبعاد من رحمة الله، لما تسببه من أمراض ومشاكل بيئية، ويقاس على ذلك جميع ملوثات التربة والمياه، يقول الرسول ﷺ (اتقوا الملاعن الثلاث : البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل) [١].

٣ . ٦ . ٥ الحماية من تلوث الغذاء

يعد تلوث الغذاء مشكلة صحية واقتصادية في الوقت نفسه، فالمجتمع السليم المنتج هو الذي يتمتع أفراده بالكفاءة الصحية العالية والقدرة على العمل والإنتاج والخلق والإبداع. وحتى يتمتع المجتمع بهذه الصفات فإن أفراده في حاجة ماسة إلى غذاء سليم خال من الملوثات المختلفة التي تسبب أمراضاً أو تسمماً أو تؤثر في جهازه المناعي.

ويعد الغذاء المرآة الحقيقية لحالة البيئة، فالغذاء الجيد ينم على بيئة نظيفة، والغذاء الملوث يدل على بيئة ملوثة، ومواطن غير مكترث، لا يراعي ضميره في نفسه أو في عمله.

وهناك ثلاثة أنواع للتلوث الغذائي :

تلوث فيزيائي : بسبب الإشعاع كما حدث من مفاعل تشرنوبل.

وتلوث كيميائي : ويتمثل في تلوث الغذاء بالمبيدات والمعادن الثقيلة كالرصاص أو بقايا الأدوية والمضادات الحيوية, والاضافات الحافظة.

وتلوث أحيائي : بفعل مسببات الأمراض المختلفة كالبكتريا أو الفيروسات أو الفطريات أو الطفيليات,أويتلوث الغذاء عن طريق تلوث الماء المستخدم في تنظيف الغذاء أو في إعداده وطبخه، أو لتلوث الهواء في أماكن إنتاج وتصنيع الغذاء، أو لتلوث التربة التي يزرع فيها الغذاء. وفي حالة الغذاء من أصل حيواني يكون حاملاً لهذه الملوثات تكون منتجاته من ألبان ولحوم وبيض

(١) سنن أبي داود، في الطهارة، باب المواضع التي نهى النبي ﷺ عن البول فيها رقم ٢٦.

ملوثة، وبالنسبة للأسماك فتكون ملوثة عندما تكون مياه الأنهار والبحار والبحيرات نفسها ملوثة [١].

٣ . ٦ . ٦ الحماية من التلوث السمعي (الضوضاء)

الضوضاء مجموعة من الأصوات المرتفعة غير المتناسقة لها تأثيرها الضار في الصحة والجهاز العصبي للإنسان. وتتمثل في أصوات السيارات والدراجات البخارية وأجهزة الإنذار وأصوات المذياع والتلفاز وأصوات آلات الحفر ووسائل المواصلات وأصوات الطائرات والأجهزة المنزلية كالغسالات والمكانس الكهربائية وأجهزة التكييف وأجهزة الورش والضوضاء الصادرة عن أعمال البناء والتشييد، والضوضاء تؤدي إلى نقص في القدرة على أداء العمل العضلي ونقص المقدرة على التركيز، والشعور بالضيق والعصبية، وتؤثر في السمع وقد يصل الأمر إلى إصابة الإنسان بالصمم، وإصابة العاملين بالأمراض النفسية والعضوية [٢].

وقد حرص الإسلام على سلامة البيوت والناس من الضوضاء والصخب، الذي هو أحد أهم ملوثات البيئة في هذا العصر، قال تعالى: ﴿**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ﴿١٩﴾﴾ (سورة لقمان) وقال الرسول ﷺ: «الجرس مزامير الشيطان»[٣]. فإذا كان الإسلام قد أمر بغض الصوت وهو مهما بلغ من الجهورية والإزعاج لا يرقى إلى ما يحدثه ضجيج الآلات من الضوضاء والصخب فهو من باب أولى يأمر بغض كل الأصوات العالية وغير المرغوبة فيها التي تضر بصحة الإنسان[٤].

(١) محمد كمال رفاعي، الغذاء وتلوث البيئة، ضمن ندوة الإعلام وقضايا البيئة في مصر والعالم العربي، القاهرة، كلية الإعلام (١٨-٢٣ أبريل ١٩٩٢ م) ص ٩٦، ٩٧، محمد منير حجاب، التلوث وحماية البيئة ص ٩٣، ٩٤.

(٢) نور الدين هنداوي: الحماية الجنائية للبيئة ص ٧٣ وماجد الحلو: قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة ص ٣٤٧، ٣٤٨.

(٣) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب كراهة الكلب والجرس في السفر ج٣ ص ١٦٧٢ رقم الحديث ٢١١٤.

(٤) عبد اللطيف الغامدي: حقوق الإنسان في الإسلام ص ١٢٤.

٣ . ٦ . ٧ سلطات الدولة في حماية حق الإنسان في بيئة صحية نظيفة

إن للدولة سلطات واسعة في حماية الإنسان في بيئة صحية مناسبة . فلها الحق في اتخاذ التدابير الوقائية لمنع الضرر الناجم عن تلوث البيئة عملاً بقاعدة «لا ضرر ولا ضرار » وقاعدة « سد الذرائع المؤدية إلى الفساد »وعلى سبيل المثال : لولي الأمر أن يمتنع عن الترخيص بإنشاء مصنع يقذف بأدخنة وغازات يتسبب عنها تلوث الهواء أو يلقي نفاياته من المواد السامة في المجاري المائية .

ولكن إذا كان المصنع أو المشروع ينتج سلعاً ضرورية لا غنى للناس عنها ، فيمكن لولي الأمر أن يلزم صاحبه (المرخص له) بتركيب مرشحات أو أجهزة لحجز الأدخنة أو امتصاص الغازات والنفايات قبل إطلاقها في الهواء أو إلقائها في الماء . فولي الأمر يأخذ في اعتباره عند صدور قراره بالترخيص أو بعدم الترخيص ، الملابسات والاعتبارات الزمنية والمكانية المحيطة بالنشاط ، فيراعي تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، وتقديم المصالح الضرورية على الحاجية ، وهذا في إطار القاعدة الأساسية التي تقرر أن «تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة » [١] .

يستطيع ولي الأمر أن يحدد نطاق التصرف ومكانه وزمانه ونوعيته على النحو الذي يمنع وقوع الضرر أو تقليله إلى أدنى قدر ممكن [٢] . أو بتعبير آخر حصر التلوث في نطاق القدرة الاستيعابية للبيئة ، بل أيضا من الاستنزاف والإسراف إذ يجب ترشيد استخدام الماء والهواء بالقدر المطلوب لا فوقه .

في الفكر الوضعي يدور الجدل حول حق المشروعات الخاصة في الانتفاع

---

(١) الزركشي ، المنثور في القواعد ، تحقيق تيسير فائق محمود ومراجعة عبد الستار أبو غدة ، دار الكويت للصحافة الطبعة الثانية ، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م) ج١ ، ص ٣٠٩ ، ومصطفى الزرقا : المدخل الفقهي العام (إخراج جديد) (دمشق : دار القلم ، ط١ ، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م) ج٢ ص ١٠٥٠ ، علي أحمد الندوي : القواعد الفقهية (دمشق ، دار القلم ، ط٣ ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤ م) ص ٣١٧ ـ ٣٢٠ .

(٢) دراسة أساسية عن حماية البيئة في الإسلام (جدة ، جامعة الملك عبد العزيز ، قسم الدراسات الإسلامية ، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م) ص ١٧ ـ ١٨ .

بالمباحات (الهواء والماء) كمستودع أو مخزن لمخلفاتها الغازية أو السائلة والصلبة في مواجهة حق الأفراد في الحصول على هواء نقي وماء نظيف[١]. أما الإسلام فقد تجاوز هذا الجدل منذ قرون طويلة، بنظام عادل دقيق يحقق للكافة الانتفاع بالمباحات ويحافظ عليها في الوقت نفسه من النفايات. يقول الرسول ‹ : (الناس شركاء في ثلاث الماء والكلأ والنار)[٢]. والشركة تقتضي الإباحة أي عدم وقوعها في الملكية الخاصة فينتفع بها كل المسلمين بشرط عدم الإضرار بالآخرين[٣].

ووضع الفقهاء قواعد لملكية الماء في حالات خاصة وذهبوا إلى أنه إذا امتنع مالك الماء عن بذله للمضطر مع عدم حاجته إليه بالدرجة نفسها يكون للمضطر قتاله على ذلك[٤]. وروي أن رجلاً أتى أهل ماء فاستسقاهم فلم يسقوه حتى مات عطشاً فألزمهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ديته[٥].

ويمكن بالقياس أن نعمم هذا الحكم على الماء الذي يلوثه المالك أو آحاد الناس ويتسبب في موت من يشربه.

إن الحفاظ على حياة الإنسان وصحته أوجب ـ من وجهة النظر الإسلامية ـ من الحفاظ على علاقة المالك بالمملوك، وأوجب من تحقيق الأرباح لأصحاب المصانع التي تحدث تلوثاً في الماء أو الهواء أو غيرهما يهدد حياة الناس بالخطر أو الهلاك. ولا شك أن هذا النظر ينطلق من منطلقات إيمانية تقوم على المعيار الأخلاقي ويمثل بعداً إنسانياً عادلاً ووعياً اجتماعياً وبيئياً لا نجده في التشريعات الوضعية[٦].

---

(٣) محمود يونس، وعبد النعيم محمد، مدخل إلى الموارد الاقتصادية (بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) ص ٣٤٨ ـ ٣٥٣.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ابن قدامة، المغني تحقيق عبد الله التركي، عبد الفتاح الحلو (القاهرة، هجر للطباعة، ط٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢ م) ج٨ ص ١٥٧, ١٦٥.

(٤) ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين) (مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨٦ هـ) ج٦، ص ٤٤٠.

(٥) الماوردي، الأحكام السلطانية ص ٢٨٢، أبو يعلى الفراء، : الأحكام السلطانية ص ٢١٩.

(٦) حسين مصطفى غانم، الإسلام وحماية البيئة من التلوث ص ٢٢٥.

إن حماية البيئة ترقى إلى درجة الواجب في الإسلام، ولذلك فإن ما نص عليه الحديث الشريف من أشياء ينتفع بها كل المسلمين ـ وهي الماء والكلأ والنار ـ يمكن ان يلحق بها ما هو في معناها من حيث كونه ضرورياً للحياة ومن ثم يكون الواجب حمايته من التلوث دفعاً للضرر العام [١].

وعلى ذلك يمكن أن يتعدى حكم الشركة إلى سائر المباحات كالهواء الجوي وأشعة الشمس وغير ذلك من المباحات، وفيما يتعلق بالهواء الجوي يجب أن تمتد الحماية إلى الغلاف الخارجي (الأستراتوسفير) حيث توجد طبقة الأوزون. فالتقدم العلمي والتقني الذي أحرزه الإنسان أتاح له التأثير السلبي في الأوزون وتضاؤله، الأمر الذي يسمح بنفاذ الأشعة فوق البنفسجية إلى سطح الأرض بقدر أكبر من المطلوب فتسبب أضرارا كبيرة.

وقد أصبح التلوث الضوضائي من المشكلات المعاصرة التي تزعج الإنسان وتسبب له الكثير من الأمراض النفسية والعصبية.

وبالنسبة لأشعة الشمس ـ وهي من المباحات التي ينتفع بها الإنسان والحيوان والنبات أيضاً ـ فإن الغبار الذي ينتشر بسبب التفجيرات النووية وحرب الإبادة العرقية التي تستخدم فيها أشد أنواع الأسلحة فتكاً وتدميراً، هذا الغبار يحجب أشعة الشمس، الأمر الذي يضر بذاته بالكائنات الحية فضلاً عن تأثيراته الخطيرة الأخرى (انخفاض درجة الحرارة واحتمالات حدوث كارثة جليدية كما توقع علماء البيئة).

نهى الرسول ﷺ أن يبال في الماء الراكد كما سبق أن ذكرنا فهذا النهي يرسي قاعدة المحافظة على الماء من التلوث ويوضح القول بأن تسرب النفط بكميات ضخمة في المسطحات المائية المغلقة أو شبه المغلقة ـ مثل الخليج العربي ـ وما يترتب على ذلك من أخطار على غذائه، يبرر تدخل الدولة لمنع حدوث هذا التسرب بكافة الأساليب الممكنة[١].

(١) محمد مكي الجرف، اقتصاديات المشروع الخاص في الاقتصاد الإسلامي، (رسالة دكتوراه، بجامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م) ص ١٣٠.

(٢) عبد الله البار، ملكية الموارد الطبيعية في الإسلام (رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة، ١٤٠٤ هـ) ص ٥٥٧, ٥٥٨.

٣ . ٦ . ٨ واجبات الدولة في فرض الوقاية الضرورية لمنع التلوث

يقر الإسلام حق الأفراد في منع كل من يقوم بعمل يضر بانتفاعهم بالمورد الطبيعي المباح . وقد انتشرت في العالم المعاصر الصناعات والنشاطات الإنسانية ، فإن الدولة ـ بما لها من سلطات رادعة ـ أجدر بالقيام بهذا العمل حتى لا تكثر المشاحنات والمنازعات بين الأفراد إذا ترك لكل واحد منهم الحق في مقاومة من يحدث تلوثاً في البيئة أو يعطل انتفاع الناس بالمباحات .

ولا يقتصر تدخل الدولة لمنع تلوث الماء وإنما ينسحب هذا الحق إلى الهواء باعتباره من المباحات التي يشترك الناس جميعاً في الانتفاع بها . فللدولة الحق أن تفرض على المشروعات الخاصة والعامة من القيود والتدابير الوقائية ـ كتركيب المرشحات ـ ما يمنع التلوث أو يمنع استفحاله .

والقاعدة الفقهية « تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة » ذات مساس بالسياسة الشرعية وتنظيم الدولة الإسلامية ولها فائدة كبيرة في مجالات التعامل مع البيئة الطبيعية لحماية مواردها من التلوث إذ يكون للإمام عند الترخيص بإقامة مشروع ما ـ خاصاً كان أو عاماً ، زراعياً أو صناعياً أو علمياً ـ أن يضع الاشتراطات والضمانات التي يرى أنها كفيلة بحماية البيئة من التلوث ، واستنزاف مواردها [١] .

ويقوم جهاز الحسبة في الدولة الإسلامية بالدور التنفيذي لرعاية البيئة الصحية

٣ . ٦ . ٩ جهاز الحسبة وآلية التنفيذ للمحافظة على البيئة الصحية

لم يقف التشريع الإسلامي عند حد النواهي والأوامر وإنما أوجد آلية للتنفيذ هي جهاز الحسبة ، ومن أهم مسئوليات المحتسب وصلاحياته المنع من كل ما يؤدي إلى تلوث البيئة وعدم نظافتها ، سواء في ذلك الهواء أو الماء أو الأماكن أو المواد والمنتجات كما عليه يمنع الإسراف في استغلالها واستنزاف مواردها وهذه مجرد أمثلة توضح لنا بعضاً من ذلك .

---

(١) حسين مصطفى غانم : الإسلام وحماية البيئة من التلوث ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

يمنع المحتسب رجال الأعمال من استخدام مواد وأدوات ملوثة، يستوي في ذلك المواد الخام والمواد المساعدة، وكذلك رؤوس الأموال مثل المواعين والأدوات، وكذلك الأيدي العاملة يجب أن تقدم خدماتها نظيفة غير ملوثة. ويمنع مداخن الأفران والمصانع التي تنتج تلوثاً بيئياً في الهواء أو الماء أو الطريق أو غير ذلك ـ ويقاس عليها كل المداخن ـ ومثل الذبح في الطرقات حيث يلوث الطريق والهواء بالدم والروث، ومثل أمر المصانع والأسواق بكنس وتنظيف أرجائها من الأوساخ والفضلات، وضرورة أن تكون بعض المحلات ذات مواصفات بيئية خاصة في مبناها وموقعها وما تستخدمه من آلات وأساليب، كذلك نجد التأكيد القوي والحرص الكامل على نظافة المياه المستخدمة في الاستحمام والنظافة والحرص الكامل على عدم إلقاء الفضلات في العراء مكشوفة لما في ذلك من تلويث للهواء ولا إلقائها في المياه، وإنما تحفر لها حفائر عميقة وتغطى، حتى تزول رائحتها ولا يتأذى منها أحد، وكذلك طرح فضلات المياه في الشوارع والطرقات[1]. وينطبق هذا على النفايات الصلبة للمنازل والمنشآت والنفايات الخطرة للمستشفيات وغير ذلك لذا يجب أن تلزم الدولة الاقائمين على امورها باتخاذ كل ما يلزم لدرء اخطارها ومنع تركمها وتلويثها للبيئة وكذلك مخلفات الصرف الصحي للمدن.

مما ينبغي الإشارة إليه ما يلي :

أولاً: النظر في هذه الصورة والأمثلة من خلال المنظور التاريخي لها، بمعنى أن تقوّم في الواقع الذي كان سائداً.

ثانياً: أن تطور وتعدل في ضوء الواقع المعاصر حالياً، حيث يتأتى ذلك في العديد والعديد مما قيل سلفاً، والاختلاف هو في الشكل و الحجم وضخامة الآثار

(١) لزيادة التفصيل يمكن الرجوع إلى :
ـ ابن بسام، نهاية الرتبة في طلب الحسبة (بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦٨ م).
ـ عمر بن محمد السنامي، نصاب الاحتساب تحقيق مريزن سعيد مريزن عسيري (مكة المكرمة، مكتبة الطالب الجامعي، ط١ , ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).
ـ محمد القرشي المشهور بابن الأخوة، معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق محمد محمد شعبان، صديق أحمد المعيطي (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ م).

المترتبة، وكذلك في تنظيم واختيار الأساليب المناسبة لإنجاز تلك المهام.

ثالثاً: أن كل ما هو مدون في كتب الحسبة إنما يرجع إلى ضابط واحد هو «الشرع المطهر، فكل ما نهت عنه الشريعة وجب على المحتسب إزالته والمنع منه، وما أباحته الشريعة أقره على ما هو عليه».

رابعاً: تدخل الدولة واضحاً بالمنع من أحداث ما يفسد البيئة، ثم هي بإزالة ما قد يكون قد قام من تلك المفسدات ثم تضمين المفسد قيمة ما أفسده.

خامساً: أن دور الدولة هنا لا يقف عند ذلك بل يتعداه إلى الإرشاد والتعليم والتنظيم وتعريف الناس بالطرق والأساليب الصحيحة التي تحقق لهم مصالحهم، وفي الوقت ذاته تحافظ على البيئة [1].

وتجدر الإشارة إلى أن موقف الشريعة من تلوث البيئة، وحق الإنسان في بيئة صحية مناسبة لا يقف عند حد ما ذكر في كتب الحسبة، فلقد تناول الفقهاء ذلك الأمر في مناسبات عديدة تناولاً مفصلاً، سواء في كتب الفقه المعتادة أو في كتب الفقه والنوازل[2]. وبهذه المناسبة نشير إلى ظاهرة ذات أهمية بالغة في موضوعنا هذا تتعلق بتلوث المياه من خلال قيام بعض الأشخاص ـ ناهيك عن الحكومات ـ بتصريف الصرف الصحي للمدن في المياه، كما هو مشاهد كثيراً اليوم.

يقول ابن رشد فيمن بنى كرسياً للحدث على ماء يجري في جنات للسقى والشرب منه وعليه أرحاء ـ جمع رحى ـ واحتج الباني أنه ـ أي التصريف ـ لا يغير الماء لكثرته: «يجب قطع هذا الضرر، والقضاء به لازم قام بذلك بعض أهل الجنات أو من سواهم بالحسبة، وعلى الحاكم أن ينظر في ذلك إذا اتصل به الأمر، وإن لم يقم عنده به قائم بأن يبعث إليه العدول فإذا شهدوا عنده قضى بتغييره لما في ذلك من الحق لجماعة المسلمين» [3].

(١) شوقي دنيا: التنمية والبيئة (دراسة مقارنة) (مكة المكرمة ـ رابطة العالم الإسلامي ـ دعوة الحق ـ ع ١٣٧ ـ جمادى الأولى ١٤١٤ هـ) ص ٩٧, ٩٨.

(٢) عبد السلام العبادي: الملكية في الشريعة الإسلامية، ج٢ ص ١٢٩ وما بعدها.

(٣) ابن رشد الجد: فتاوى ابن رشد تحقيق المختار بن الطاهر (بيروت، دار الغرب الإسلامي) ج٣ ص ١٣٣٠.

٤ . حماية البيئة ووثيقة حقوق الإنسان

٤ . ١ المقصود بوثيقة حقوق الإنسان والقانون الطبيعي

وثيقة حقوق الإنسان : اصطلاح يطلق على مجموعة الحقوق والحريات العامة التي يتمتع بها الفرد بوصفه إنساناً، والصادرة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ١٠ ديسمبر ١٩٤٨ م، ويطلق عليها أيضاً الحقوق العامة [١].

وأساس هذه الحقوق والحريات أنها حقوق طبيعية نابعة من طبيعته الإنسانية دون حاجة للنص عليها أو تقريرها في مواثيق أو دساتير أو قوانين وضعية وذلك وفقاً لنظرية القانون الطبيعي [٢].

ويعد الحق في توفير الحياة من الحقوق الطبيعية ويقصد به حق كل إنسان في أن يعيش ككائن بشري بحسب تكوينه الطبيعي دون أن تحرمه أي قوى وضعية من هذه الحياة إلا بالتدخل الطبيعي من القوة التي خلقته .

ويشمل الحق في الحياة حق الفرد في جسده بسائر أعضائه وسلامته من أي أمراض أو آفات، وذلك عن طريق الوسائل الوقائية أو العلاجية التي يضمنها المجتمع لأفراده بحسب إمكانياته المادية والبشرية المتاحة .

ويتميز هذا الحق بخصائص تجعله في مرتبة أعلى بالنسبة لكافة الحقوق، لأنه يعد الأساس لأي حق آخر يكشف أو يقرر للإنسان، فبدون وجود حياة للإنسان أو بدون ضمان سلامة هذه الحياة لا يسوغ الحديث عن أي حق آخر لصاحب هذه الحياة . إن الحق في الحياة يعد من الحقوق الطبيعية اللصيقة بشخصية الفرد والتي يرتبط بها وجوداً وعدماً . إن حق الإنسان في صون حياته وفي سلامة جسده بسائر أعضائه، يعد من أهم الحقوق الطبيعية التي يجب أن تحمى وتصان من كل اعتداء أو انتهاك

(١) مجمع اللغة العربية، معجم القانون، ص ١٤ .
(٢) مجمع اللغة العربية، معجم القانون، ص ١٤ .

مادي أو معنوي، ولا يجوز التنازل أو التصرف في الحياة من قبل صاحبها أو من باب أولى من قبل فرد أو جهة أخرى [١].

٤ . ٢ مدى حق الإنسان في بيئة صحية مناسبة في وثيقة حقوق الإنسان

نصت المادة الثالثة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٠ ديسمبر ١٩٤٨ م، على أن « لكل فرد الحق في الحياة، والحرية وسلامة شخصيته ».

وهذا الحق في الحياة والسلامة، نصت عليه أيضاً كل من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان (م٢ / ١) [٢]، واتفاقية الدول الأمريكية لحقوق الإنسان (م ٤)، وفي الاتفاقية الدوليه لحقوق الإنسان المدنيه والسياسيه لسنة ١٩٦٦ المادة الأولى ,والسادسة, وهذه ملزمة للمصدقين عليها بخلاف الاعلان فالالتزام به ادبي [٣].

ورغم ذلك فإن حق الإنسان في بيئة صحية مناسبة في وثيقة حقوق الإنسان لم يكن موضع إجماع، ففي المسألة رأيان :

الأول : يرى أن « البيئة النظيفة » تعد من الحقوق الأساسية للإنسان ويتفرع بالتالي عن الحق في الحياة والسلامة الذي نصت عليه إعلانات حقوق الإنسان [١].

الثاني : يرى أن ميثاق حقوق الإنسان لم ينص على حق الإنسان في بيئة صحية مناسبة.

وتتحصل أدلة الرأي الأول في :

١ـ أن الإعلان العالمي لوثيقة حقوق الإنسان لم تنص على حق الإنسان في بيئة صحية لأن المشكلة لم تكن قائمة، فلم يكن هناك تلوث للبيئة.

(١) عبد السلام علي المزوغي : النظرية العامة لعلم القانون، الكتاب الأول المدخل لعلم القانون، الجزء الثاني، نظرية الحق (ليبيا : الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط١ , ١٣٩٧ هـ-١٩٨٨ م) ص ٧٥, ٧٦.

(٢) وقعت هذه الاتفاقية في روما بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩٥٠ م، ودخلت حيز السريان في ٣ سبتمبر عام ١٩٥٣ م.

(٣) محمود شريف بسيوني : الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان المجلد الاول (القاهرة: دار الشروق ,ط , ١ ٢٠٠٣م) ص ٧٩.

(٤) أحمد عبد الكريم سلامة : قانون حماية البيئة، ص ١٦.

٢ـ أن حق الإنسان في الحياة وسلامة الجسد لا يكتمل إذا لم يجد الإنسان الهواء النقي الذي يستنشقه والماء النظيف الطهور الذي يشربه ويستعمله، والتربة الصالحة التي تخرج له حباً وعنباً وقضباً. إن التعدي على البيئة الهوائية والمائية والبرية يعد تهديداً وخرقاً لهذا الحق في الحياة والسلامة.

٣ـ أن مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة الإنسانية المنعقد في استوكهولم عام ١٩٧٢م، تشكل أعماله في مجموعها :

أ ـ اعتراف بحق الإنسان في الحياة في بيئة ملائمة، وهو جوهر الحق في الحياة والسلامة التي نصت عليها إعلانات حقوق الإنسان.

فقد نص المبدأ الأول من إعلان البيئة الإنسانية الذي تبناه المؤتمر على أن للإنسان الحق الأساسي في الحرية، والمساواة والظروف الملائمة للحياة في بيئة من نوعية تسمح بحياة كريمة وبرفاهية، وهو يتحمل كامل المسئولية في حماية وتحسين البيئة من اجل الأجيال الحاضرة والمستقبلة.

ب ـ اعتبار المجتمع الدولي الذي تمثله الأمم المتحدة يوم الخامس من يونيو من كل عام يوم البيئة العالمي وهو تاريخ افتتاح مؤتمر الأمم المتحدة بمدينة استوكهولم عام ١٩٧٢ م حول البيئة الإنسانية وحمايتها. وهو يوم يتم التذكير فيه بأن الإنسان الذي زين له جهله وظلمه أنه المتحكم في البيئة والمصيطر عليها قد أضحى اليوم لا سيداً لتلك البيئة، بل خادماً لها.

ج ـ اعتراف مؤتمر البيئة والتنمية المنعقد في البرازيل عام ١٩٩٢ م بحق الإنسان في بيئة نظيفة [١].

أما أدلة الرأي الثاني فتتحصل في :

---

(١) أحمد عبد الكريم سلامة : قانون حماية البيئة، ص ١٥ ـ ١٨، نور الدين هنداوي : الحماية الجنائية للبيئة (دراسة مقارنة)، ص ٨, ٩. ويرى أن أعمال المؤتمر المشترك بين المعهد الدولي لحقوق الإنسان ومعهد السياسة الأوروبية للبيئة المنعقد في ١٩ ـ ٢٠ يناير سنة ١٩٧٩ م بمدينة ستراسبورغ في فرنسا انتهى إلى أن الحق في وجود بيئة غير ملوثة يعد من الآن فصاعداً حقا من حقوق الإنسان.

١ـ أن الإعلانات العالمية لم تنص صراحة على العيش في بيئة نظيفة ولم ترق بعد إلى مصاف الحق الواجب الاحترام بقواعد ملزمة [١] .

٢ـ إن مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة المنعقد في استوكهولم عام ١٩٧٢ م لأعماله قيمة أدبية تتمثل في وضع توصيات تمثل منطلقات أساسية لفهم البيئة ومواجهة المشكلات التي أوجدتها مطالب الإنسان المتزايدة والمترفة في كثير من الأحيان . . . أرسى دعائم «فكر بيئي » جديد يدعو إلى التعايش مع البيئة والتوقف عن استنزاف مواردها [٢] .

٣ـ إن القول بحق الإنسان في بيئة نظيفة حق غير قابل للتحقيق قليل القيمة، بالنظر إلى عدم إمكان الشخص حمايته أمام القضاء، وخصوصاً القضاء الدولي، ذلك أن الفرد لا يعد من أشخاص القانون الدولي المعاصر[٣] .

٤- إن مضمون الحق في بيئة نظيفة يتعلق بكيفية الحياة والتوازن الأحيائي وهو أمر يختلف تعريفه من باحث لآخر وبالتالي يؤثر في كيفية حمايته[٤] .

وأرى أن الله خلق الأرض وهيأها نظيفة صالحة للحياة بكل صورها، وهي بذلك أصل سابق على وجود الإنسان نفسه، واستمرار حياته فيها مرتبط بالحفاظ عليها نظيفة . وبالتالي فالحفاظ على البيئة نظيفة أمر لازم أساسي سابق على حق الإنسان في الحياة وليس متفرعاً عنه .

---

(١) تجدر الإشارة هنا إلى أن ميثاق الطبيعة المعتمد من قبل الأمم المتحدة في قرارين صدرا عام ١٩٨٢م لا يعد قاعدة قانونية ملزمة، وإنما هو حض للدول على إصدار قانون يتضمن حق الإنسان في بيئة نظيفة، وأن الحض على إصدار قانون ليس إلزامياً، فخاصية القاعدة القانونية هي قوتها الإلزامية .

(٢) رشيد الحمد ومحمد صباريني : البيئة ومشكلاتها، ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٣) يرد البعض على ذلك بأن طريق الحماية الدبلوماسية قادر على أن يكفل تلك الحماية، فضلاً عن أن المعاهدة الدولية لحوق الإنسان المدنية والسياسية لسنة ١٩٦٦م التي بدأ سريانها من ٢٣ مارس عام ١٩٧٦ م يفتح الطريق أمام الفرد للالتجاء إلى القضاء الدولي (م ١) . كما أنه في ظل الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان تقبل دعاوى الأفراد وفق شروط معينة، بل يمكنها أن ترفع القضية إلى المحكمة الأوربية لحقوق الإنسان، إن لم يستطع الفرد رفعها بنفسه (م ٤٨) من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان . أحمد عبد الكريم سلامة : قانون حماية البيئة، ص ١٨ .

(٤) عبد الهادي عباس : حقوق الإنسان، ج٢، ص ٤٢٨ ـ ٤٢٩ .

الخاتمـــة

تبين خلال البحث ما يلي :

- أن رعاية البيئة وحق الإنسان في بيئة صحية مناسبة ينطلق من عقيدة « لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله » .
- خلق الله الإنسان وكرمه واستخلفه في الأرض لعمارتها ورعايتها في ضوء منهج الله، وسننه الكونية .
- استخدم القرآن مصطلح « الأرض» للدلالة على البيئة الطبيعية، لأنها إطار لأنظمة بيئية متكاملة تهيئ للإنسان ولغيره من الكائنات الحية مقومات الحياة وعوامل البقاء، وبين القرآن أهمية حماية البيئة الاجتماعية ومغبة الإفساد لها .
- عرفت البيئة حديثاً بأنها « رصيد الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ما ومكان ما لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته » .
- ويتميز الإسلام ببيان السنن الكونية التي تحكم البيئة والتعامل الرشيد معها بعمارتها وعدم إفسادها .
- وتتميز البيئة الطبيعية في الإسلام بتفاعل مكوناتها، وتوازنها، واستمرارها، وتعقدها .
- حق الإنسان في بيئة صحية مناسبة، هبة من الله تعالى للإنسان في كل زمان ومكان، وهو من حقوق الله تعالى، لا يجوز تعطيله أو النزول عنه .
- إن حق الإنسان في بيئة صحية مناسبة ينطلق من العقيدة والتكريم الإلهي للإنسان واستخلافه في الأرض وتمكينه منها، ومن مكارم الأخلاق ومقاصد الشريعة التي تأبى الفساد في الأرض .
- إن مجالات البيئة الصحية المناسبة للإنسان تتحصل في حرص الإسلام على سلامة البيئة الطبيعية بأبعادها الفرعية من ماء، وهواء، وتربة، وهدوء، وحثنا على ملازمة جميع الأسباب الواقية للمحافظة على سلامة ونظافة محيطنا وصيانة بيئتنا من كل

تلوث، وأوجد الآلية للتنفيذ بجهاز الحسبة ودور الدول في منع التلوث والمحافظة على البيئة.

- إن وثيقة حقوق الإنسان في الإعلان العالمي لم تنص على حق الإنسان في بيئة صحية مناسبة أو (بيئة نظيفة) كما يرى البعض، وإنما تنص على حق الحياة وسلامة الجسد، ويرى البعض أنه لتمام هذا الحق لا بد من توافر البيئة النظيفة.
- إن الإسلام كان سباقاً في تقريره حق الإنسان في بيئة صحية مناسبة على أساس عقدي وأخلاقي، وكذلك في دعوته إلى التعاون الدولي في رعاية وحماية البيئة من التلوث على اختلاف أشكاله وصوره من منطلق﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾.

المراجـــــع

ـ أحكام القرآن ، لأبي محمد بن عبد الله بن محمد، المعروف بابن العربي، تحقيق محمد علي البجاوي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٧ م.

ـ أحكام القرآن ، لأبي بكر أحمد الرازي الجصاص، مراجعة صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، ط١ , ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

ـ الأحكام السلطانية ، لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء، تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١ ، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠م.

ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، حققه عصام الحرستاني ومحمد الزغلي، بيروت ودمشق وعمان : المكتب الإسلامي، ط١ , ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

ـ استخلاف الإنسان في الأرض ، فاروق الدسوقي، بيروت، الرياض، المكتب الإسلامي، مكتبة فرقد، ط١ , ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

ـ الإسلام عقيدة وشريعة ، محمود شلتوت، بيروت، دار الشروق، ط ١٢ ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

ـ الإسلام وحماية البيئة ، شوقي دنيا، الرياض، مجلة البحوث الإسلامية المعاصرة، العدد الثامن والأربعون، السنة الثانية عشر، (رجب ـ رمضان ١٤٢١ هـ ـ ديسمبر ـ يناير ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠١ م).

ـ الإسلام وحماية البيئة من التلوث ، حسين مصطفى غانم، مكة الكرمة ـ جامعة أم القرى ـ مركز بحوث الدراسات الإسلامية، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م.

ـ أصول نظام الحكم في الإسلام مع بيان التطبيق في المملكة العربية السعودية، فؤاد عبد المنعم أحمد، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ط١ ، ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١م.

- إعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٣٩٧ هـ-١٩٩٧ م.
- اقتصاديات المشروع الخاص في الاقتصاد الإسلامي، محمد مكي الجرف، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - قسم الاقتصاد، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.
- الأموال, أبو عبيد القاسم بن سلام ,تحقيق وتعليق محمد خليل هراس، القاهرة، المكتبات الكليات ا لأزهرية، ط١ ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.
- بدائع السلك في طبائع الملك ، لابن الأزرق، أبو عبد الله محمد بن علي، تحقيق وتعليق علي سامي النشار، بغداد، وزارة الإعلام، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٧ م.
- البيئة والتنمية ، شوقي دنيا، مكة المكرمة، دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، جمادى الأولى، ١٤١٤ هـ.
- البيئة وحقوق الإنسان (رؤية إسلامية) ، حسن إسماعيل، بحث ضمن حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي، الرياض، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ط١ ، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١ م.
- البيئة ومشكلاتها ، رشيد الحميد، محمد سعيد صباريني، الكويت، عالم المعرفة، ط٢ منقحة، العدد ٢٢، المحرم ١٤٠٥ هـ-أكتوبر ١٩٨٤ م.
- البيئة ومشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث ، محمد عبد القادر الفقي، القاهرة، مكتبة ابن سينا، ط١ ، ١٩٩٣ م.
- التعريفات، للجرجاني، علي بن محمد، تحقيق إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٤ ، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧ م.
- تفسير القرآن العظيم، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن عبد القادر الرازي، تحقيق حسين ألمالي، أنقرة-تركيا، مديرية النشر التابعة لوقف الديانة التركي، ط١ ، ١٤١٧ هـ-١٩٩٧ م.

ـ تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن كثير، القاهرة، دار التراث,دون تاريخ.

ـ التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، الرازي، محمد بن عمر، طهران، دار الكتب العلمية، ط٢، دون تاريخ.

ـ التلوث وحماية البيئة (قضايا البيئة من منظور إسلامي) ، محمد منير حجاب، القاهرة، دار الفجر، ط٣ ، ٢٠٠٢ م.

ـ تلوث البيئة وكيف عالجه الإسلام ، محمد أحمد رشوان، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١ ، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤

ـ التلوث وحماية البيئة ، محمد عبده العودات وعبد الله باصهي، الرياض، جامعة الملك سعود، ط٣ ، ١٩٩٧ م.

ـ التلوث وتحسين البيئة ، أحمد خالد علام، عصمت عاشور أحمد، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط١ ، ١٩٩٣ م.

ـ تلوث الهواء، عبد العزيز أحمد دياب، الكويت، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد ١٧ العدد ٣.

ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، بيروت، دار الفكر، ط ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م.

ـ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، لابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين الحنبلي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٧ ، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٧٧ م.

ـ الجامع لأحكام القرآن ، الإمام القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، صححه الشيخ هشام سمير البخاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١ ، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م.

ـ الجواهر المضيئة في الإسلام وحماية البيئة ، محمود صالح العادلي، القاهرة، دار النهضة العربية، ط١ ، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م.

ـ حقوق الإنسان ، عبد الهادي عباس، دمشق، دار الفاضل، ط١ , ١٩٩٤م.
ـ حقوق الإنسان في الإسلام (دراسة مقارنة مع الإعلان العالمي والإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان) ، محمد الزحيلي، دمشق وبيروت، دار القلم الطيب ودار ابن كثير، ط٢ ، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م.
ـ حقوق الإنسان في الإسلام ، عبد اللطيف سعيد الغامدي، الرياض، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ط١ ، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠ م.
ـ الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية في الإسلام ، محمد رأفت عثمان، بيروت، دار اقرأ، ط٣ ، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.
ـ الحماية الجنائية للبيئة (دراسة مقارنة) ، نور الدين هنداوي، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٥ م.
ـ الخراج ، لأبي يوسف (القاضي)، يعقوب ابن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، تصحيح محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية ومكتبتها، ط٣ ، ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م.
ـ دراسة أساسية عن حماية البيئة في الإسلام ، جده، جامعة الملك عبد العزيز، قسم الدراسات الإسلامية، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.
ـ رد المحتار على الدر المختار ، ابن عابدين، محمد الأمين بن عبد الغني، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، ١٣٨٦ هـ.
ـ سنن أبي داود ، الحافظ سليمان بن الأشعب السجستاني، ضبط وتعليق عزت عبيد الدعاس، سوريا دار الحديث، ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٩ م.
ـ سنن النسائي ، أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب، بشرح جلال الدين السيوطي، وحاشية السند، القاهرة، المطبعة الأزهرية، ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٣٠ م.
ـ شرح التلويح على التوضيح ، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، مصر، دار العهد الجديد للطباعة، دون تاريخ.
ـ صحيح البخاري (الجامع الصحيح) ، أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري،

ضبط وترقيم وفهرسة مصطفى البغا، دمشق وبيروت، دار ابن كثير، اليمامة، ط٥ ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣ م.

ـ صحيح مسلم (الجامع الصحيح)، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، ضبط زترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.

ـ طريقة الخلاف بين الشافعية والحنفية، حسين أبو علي الحسين بن محمد المروزي، مخطوط بدار الكتب المصرية، فقه شافعي ١٥٢٣ .

ـ الغذاء وتلوث البيئة ، محمد كمال رفاعي، ضمن ندوة الإعلام وقضايا البيئة في مصر والعالم العربي، القاهرة، كلية الإعلام، القاهرة (١٨ـ ٢٣ أبريل ١٩٩٢م).

ـ فتاوى ابن رشد ، الوليد محمد بن أحمد (الجد) تحقيق المختار بن الطاهر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٧٨ م.

ـ قانون حماية البيئة (دراسة تأصيلية في الأنظمة الوطنية والاتفاقية) ، أحمد عبد الكريم سلامة، الرياض، جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع، ط١ ، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م.

ـ قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة ، ماجد راغب الحلو، الإسكندرية، دار المطبوعات الجامعية، ١٩٩٩ م.

ـ قواطع الأدلة في الأصول ، للسمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار، تحقيق محمد حسن محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١ ، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م.

ـ القواعد الكبرى الموسوم بـ (قواعد الأحكام في مصالح الأنام) ، تحقيق نزيه كمال حماد، عثمان جمعة نصيرة، دمشق، دار القلم، ط ١ ، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠م.

ـ قواعد المقاصد عند الإمام الشافعي ، عبد الرحمن إبراهيم الكيلاني، دمشق، دار الفكر، ط١ ، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م.

ـ كيمياء وفيزياء الملوثات البيئية ، عاطف عليان، ليبيا، جامعة قار يونس.

- لسان العرب، لابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الأفريقي، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، سيد رمضان أحمد، القاهرة, دار المعارف، ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م.
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم وساعده ابنه محمد، وزارة الشئون الإسلامية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بالمدينة المنورة، ط ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م.
- مدخل إلى الموارد الاقتصادية ، محمود يونس، عبد النعيم محمد، بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م.
- المدخل الفقهي العام (إخراج جديد) ، مصطفى الزرقا، دمشق، دار القلم، ط١ ، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م.
- المدخل إلى نظرية الالتزام العامة في الفقه الإسلامي (إخراج جديد)، مصطفى الزرقا ، دمشق، دار القلم، ط١ ، ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م.
- المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، الهند، حيدر آباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الجزء الثاني، ط١ ، ١٣٤٠ هـ ١٩٢١م (وبالتصوير عنها)، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٠ م.
- المستصفى من علم الأصول ، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد تحقيق وتعليق محمد سليمان الأشقر، الرياض وبيروت، مؤسسة الرسالة ودار الوطن، ط١ ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م.
- المسند ، أحمد بن حنبل، مصر، دار المعارف، ١٩٥٢ م.
- المشروعية الإسلامية العليا ،علي جريشة، مصر ـ المنصورة، دار الوفاء ١٤٠٦هـ.
- معالم الدولة الإسلامية ، محمد سلام مدكور، الكويت، مكتبة الفلاح، ط١ ، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.
- معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، ط١ ، ١٤١٤ هـ ١٩٩٣م.

ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية، القاهرة، المطبعة الميرية، ط٢، ١٩٧٠ م.

ـ معجم القانون ، مجمع اللغة العربية، القاهرة، المطبعة الأميرية، ط١ , ١٩٩٩ م.

ـ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، قام بإخراجه : إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، محمد علي الحجار، وأشرف على طبعه عبد السلام هارون، القاهرة، المطبعة الأميرية ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.

ـ المغني ، لابن قدامه، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر، ط٢ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

مقاصد الشريعة الإسلامية ، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، الأردن، دار النفائس، ط١ ، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م.

ـ ملكية الموارد الطبيعية في الإسلام وأثرها على النشاط الاقتصادي ، عبد الله علي عيدروس البار، رسالة دكتوراه، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م.

ـ الملكية في الشريعة الإسلامية مع مقارنتها بالقوانين العربية ، علي الخفيف، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٩٠ م.

ـ الملكية في الشريعة الإسلامية، طبيعتها ووظيفتها، وقيودها، دراسة مقارنة بالقوانين والنظم الوضعية ، عبد السلام داود العبادي، الأردن، مكتبة الأقصى، ط١، ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٩٧ م.

ـ المنافع ، علي الخفيف، مجلة القانون والاقتصاد، السنة العشرون، العدد الثالث والرابع، ١٩٥٠ م.

ـ مقاصد الشريعة عند ابن تيمية ، يوسف أحمد البدوي، الأردن، دار النفائس، ط١، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م.

ـ المقدمة ، ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، بيروت، المكتبة العصرية، ط١ ، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م.

- المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد المفضل، بيروت، دار المعرفة، دون تاريخ.
- المنثور في القواعد ، للزركشي، بدر الدين محمد بهادر عبد الله، تحقيق تيسير فائق محمود ومراجعة عبد الستار أبو غدة، وزارة الأوقاف الكويتية، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥ م.
- الموافقات في أصول الشريعة ، الشاطبي، إبراهيم موسى اللخمي، شرح عبد الله دراز (بيروت، دار المعرفة) ط٢, ١٩٧٥ م، وأخرى تعليق محمد حسين التونسي، بيروت, دار الفكر، ط١, ١٣٤١ هـ.
- الموطأ ، مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت، دار إحياء الكتب العربية) ط١ ، ١٣٧٠ هـ-١٩٥١ م.
- النظرية العامة لعلم القانون، الجزء الثاني، نظرية الحق (ليبيا)، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط١ ، ١٣٩٧ هـ-١٩٨٨ م.
- الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان, المجلد الأول, الوثائق العالمية اعداد د. محمود شريف بسيوني (القاهرة, دار الشروق) الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣ م.